



كشف الشبهات العصرية على الدعوة الإصلاحية السلفية

الطبعة الثانية

إعداد فضيلة الشيخ

د. عبد العزيز السبيري

المحتويات

٣	مقدمة.....
٤	مفاسد العواطف غير المنضبطة.....
٦	بعض سمات جماعة (من أطاع الله).....
٧	مقتطفات من كلام أئمة الدعوة السلفية في جماعة من أطاع الله.....
١٦	فرية جهل علماء السنة بفقهِه الواقع.....
١٨	مناظرة علمية بين ناصح (سلفي) ومنصوح (من جماعة من أطاع الله).....
٢١	الحكم بغير ما أنزل الله وإعانة الكفار.....
٢٤	البيعة والتعامل مع ذنوب وأخطاء الحكام.....
٢٥	حكم الخروج على الحاكم المسلم.....
٢٨	لا يُشرع الجهاد بغير إذن ولي الأمر.....
٢٩	أهمية جمع الناس على الحاكم وإبراز حسناته.....
٣١	أهمية نصح الحاكم.....
٣٣	الدعاء للحاكم بالخير والتوفيق.....
٣٥	بيعة الحاكم المتغلب.....
٣٧	بعض بلايا كتاب (طاعة أولي الأمر) لعبد الله الطريقي.....
٣٨	بعض أخطاء الدميحي في كتابه (الإمامة العظمى).....
٣٩	دعوى أن حسنة الشهادة تغفر معصية الجهاد بغير إذن ولي الأمر.....
٤١	استغلال الثوريين لأخطاء العز بن عبد السلام.....
٤٤	التكفير بالحكم بغير ما أنزل الله.....
٤٥	التكفير بموالاتة الكفار.....
٤٦	تنبيهات حول جهاد الدفع.....

٤٨	تبرئة مشايخ الدعوة السلفية من طعونات الحزبيين والتكفيريين.....
٥٠	فرية الجامية، وحقيقة الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله -.....
٥٥	ترديد أهل البدع: (نحتاج إلى مرجعية علمية).....
٥٧	مناقشة مأخذ الحزبيين على ما يسمى بالجامية.....
٥٩	سبب ضلال جماعة الإخوان المسلمين.....
٦٠	سبب ضلال جماعة التبليغ.....
٦٨	بعض ضلالات أسامة بن لادن.....
٧٠	انتقاص السلفيين بعدم استعمالهم للأناشيد والمسلسلات في دعوتهم.....
٧٢	تخطئة السلفيين لأنهم يردون على سيد قطب!.....
٧٧	فرية أن الرد على المخالف يُفرق الصف.....
٨٣	ذكر الأسماء، وحديث: (ما بال أقوام).....
٨٦	منهج موازنة الحسنات والسيئات في النقد.....
٨٨	فرية تحاذل السلفيين عن الرد على العلمانيين.....
٩٢	الاجتزاء المُخل وغير المُخل.....
٩٣	التسمي بالسلفية.....
٩٥	بعض محاسن الدولة السعودية.....

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب:

كشف الشبهات العصرية عن الدعوة الإصلاحية السلفية

مُحتوية على زيادات مهمة.

أسأل الله أن يشرح بها صدورنا أجمعين للحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

<http://islamancient.com>

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فكم للحماسة غير المنضبطة من أثر على الناس، وكثير من المسلمين تَسَيَّرُهُمْ عواطفهم باسم
نصرة الإسلام والمسلمين، و حرب الطواغيت والكافرين، ومع الغلو في العواطف، والانسحاق
وراءها تنقلب إلى عواصف مدمرة تفسد ولا تصلح، وإن أصلحت أفسدت أكثر، فصارت كمن
يبني قصرًا ويهدم مصرًا.

ثُمَّ إِنَّهُمْ وَهُمْ فِي غِي عواطفهم "أهوائهم" وسكرها لا يراعون لشرع الله على هدي الصحابة
وأتباعهم بإحسان، واعتبر ذلك فيما يلي:

١- الاندفاع والتهور في التكفير النوعي "للمسائل" أو العيني "للأشخاص":

ورحم الله الإمام ابن تيمية -القائل لأمرء الجهمية وقضاتهم-: "ولهذا كنت أقول للجهمية
من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محتتهم: أنا لو وافقتكم كنت
كافرًا؛ لأنِّي أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطابًا لعلمائهم
وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم"^(١) اهـ.

والقائل: "هذا مع أنني دائمًا -ومن جالسني يعلم ذلك مني- أنني من أعظم الناس نهيًا عن أن
ينسب معين إلى تكفير ونفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من
خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإنِّي أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة
خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية"^(٢) اهـ.

(١) الرد على البكري (ص ٢٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٢٢٩).

ورحم الله الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب القائل: "وإذا كنا لا نُكفِّر من عبَد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم؛ فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يُهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾" (١) اهـ.

بل بلغ الحال ببعضهم أنه لا يُفرِّق في التكفير بين النوع والعين، ويقول: كل من كفر نوعاً كفر عيناً، وهو بهذا يُخالف الكتاب والسنة والإجماع، والاعتبار كما قاله الإمام ابن تيمية - فيما سيأتي -.

٢- القدح في العلماء الكبار كابن باز وابن عثيمين والألباني - رحمهم الله - والفوزان وآل الشيخ وعبد المحسن العباد - حفظهم الله - لأنهم لم يوافقوا أهواءهم، فتجد العالم المُجاهد عندهم هو من يوافق أهواءهم، ومن لا فلا، فصاروا بهذا هم العلماء والمعياري في الحكم على أهل العلم، فيا خبيثهم متى صار الجهل حكماً على العلم، ومتى صار الهمج الرعاع قادة يسوسون الناس؟! ولا أظهر دليلاً على أهوائهم أنك تراهم بالأمس يعتمدون على أقوال هؤلاء العلماء الكبار الموثوقين (٢)، فإذا وقعت الفتن أعرضوا عنهم إلى غيرهم ممن لم يكونوا معتمدين عليهم؛ لأنهم أفتوا بما يوافق أهواءهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ثم تراهم يتعللون - مُخادعة منهم لأنفسهم ولغيرهم - أن هؤلاء العلماء لم يتكلموا بالحق إما جهلاً أو مراعاة للمصالح، ويا ليت شعري كيف يجهل العلماء الحق ونعلمه نحن؟! أم كيف يسعهم السكوت مراعاة للمصالح ولا يسعنا؟!

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤).

(٢) ومن أقرب الأمثلة على هذا أنهم تناقلوا فتوى اللجنة بتحريم التأمين - وهذا حق يُمدون عليه - لكنهم يخفون فتاوى العلماء الكبار في حرمة العمليات المسماة استشهادية، أو أن مقاطعة منتجات أمريكا راجع إل أي إذن ولي الأمر، كما صدرت بذلك فتوى من اللجنة برقم (٢١٧٧٦)، وتاريخ ٢٥/١٢/١٤٢١ هـ. وهكذا...!!

٣- أن هؤلاء المتحمسين يستميلون قلوب العامة بـحجة الغيرة على الدين والحماسة لقضايا المسلمين: وقد كان يسلك هذه الطريقة عبد الله بن سبأ الخارج، والمؤلب للخروج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد كان يقول لأتباعه: " ابدءوا في الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر " ^(١). وهكذا هم مع العوام من المسلمين، والعامة لطيبهم وجهلهم وحسن الظن بهم ينخدعون بكلامهم.

وإني ضارب لك مثلاً من الواقع القريب بأناس شبيهين من أوجه كثيرة بأصحابنا هؤلاء الذين أتكلم عنهم، وأوجه الشبه بين هؤلاء وأولئك ما يلي:

أ- أنهم متحمسون للشريعة على جهل.

ب- أنهم متحمسون للجهاد من غير مراعاة لشروطه ومتى يشرع، لاسيما شرط إذن ولي الأمر.

ج- أن عندهم غلواً مذموماً في عقيدة الولاء والبراء، وإلا فإن القيام بهذه العقيدة واجب من واجبات الدين.

د- أنهم يطعنون في العلماء والأمراء باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هـ- أنهم يسيئون الظن بولاتهم وعلماهم.

و- أنهم يصبغون على دعوتهم -كذباً وزوراً- صبغة أتباع السلف وتعظيم دعوة الإمام محمد

بن عبد الوهاب؛ لذا يتحججون بكلمات مشتبهة لأئمة الدعوة النجدية السلفية، ولا يراعون واقعها الذي قيلت فيه، بل ويخالفون أقوالهم الصريحة المتكاثرة إذا ما خالفت أهواءهم كما سيأتي.

ز- أن كثيراً من العامة اغتروا بهم؛ لأنهم استمالوا قلوبهم بالغيرة على الدين.

(١) تاريخ الرسل لابن جرير الطبري (٤/ ٣٤٠).

أتدري مَـأَنَ أولئك؟ إنَّهم الإخوان -إخوان من طاع الله-^(١) الذين خرجوا على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار- وقد وقف العلماء الربانيون السلفيون تجاه هؤلاء وقفة قوية صدعوا فيها بالحق المبين غير مباليين باستنكار العامة وتهميلهم.

وهذه مقتطفات من كلام أئمة الدعوة السلفية النجدية في بيان حال هؤلاء -إخوان من أطاع

الله-:

قال الشيخ مُحَمَّد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد العزيز العنقري -رحمهما الله-: "أما بعد: فإن الله ﷻ لما مَنَّ على بادية نجد في آخر هذا الزمان بالإقبال على تعلم دين الإسلام والعمل به، وكثر ذلك فيهم وانتشر، ورأى الشيطان منهم قوة في ذلك وحرصاً على الخير؛ يئس منهم أن يردهم على حالهم الأولى التي انتقلوا منها، فأخذ في فتح أبواب من أبواب الشر حَسَّنَهَا لَهُمْ وزينها وجعلها في قالب القوة والصلابة في الدين، وأن من أخذ بها فهم المُتَمَسِّكون بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، ومن تركها فقد ترك مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وهذا هو المعهود من كيد اللعين.

ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّا أَدْخَلَ الشَّيْطَانُ عَلَى بَعْضِ الْمُتَدِينِينَ: اتِّهَامُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدَاهِنَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَعَدَمُ الْأَخْذِ عَنْهُمْ، وَهَذَا سَبَبٌ لِحِرْمَانِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَلَا يُتَلَقَى الْعِلْمُ إِلَّا عَنْهُمْ، فَمَنْ زَهَدَ فِي الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ مَا نَقَلُوهُ، فَقَدْ زَهَدَ فِي مِيرَاثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَاعْتَاظَ عَنْهُ بِأَقْوَالِ الْجَهْلَةِ الْخَابِطِينَ الَّذِينَ لَا دَرَايَةَ لَهُمْ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَالْعُلَمَاءِ

(١) لا أعني بالهَذَا كلَّ الْمُسْمِينَ -بِإِخْوَانٍ مِنْ طَاعِ اللَّهِ- بَلِ الْمُرَادُ مَنْ خَرَجَ عَلَى الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَطَعَنَ فِي الْعُلَمَاءِ، وَإِلَّا فَإِنَّ هُنَاكَ طَائِفَةً وَهِيَ الْأَكْثَرُ مِنْ -إِخْوَانٍ مِنْ طَاعِ اللَّهِ- سَائِرُونَ عَلَى جَادَةِ عُلَمَائِهِمْ قَائِمُونَ بِحَقُوقِ وَلِيِّ أَمْرِهِمْ بَلْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ حَطَمَتِ الْمَعَابِدَ الشَّرِكِيَّةَ وَوَحَّدَتِ بِلَادَ التَّوْحِيدِ السُّعُودِيَّةَ تَحْتَ وَلايَةِ الْإِمَامِ الْمُصْلِحِ الْمَجْدِدِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَهَؤُلَاءِ غَيْرُ مَعْنِيْنَ بِالنَّقْدِ، بَلْ هُمْ عَلَى خَيْرٍ؛ لِاتِّزَامِهِمُ التَّوْحِيدَ وَالسُّنَّةَ مِمَّا عَلَيْهِ عُلَمَائُهُمْ عُلَمَاءُ السُّنَّةِ، وَأَنْظُرِ الدَّررَ (١٩٩/٩) الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ.

هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف أخذ الدين عن أهله، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فأما من تعلق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المُحَقِّقِينَ ولمْ يعرضها على العلماء بل يعتمد على فهمه، وربَّما قال: حجتنا مجموعة التوحيد، أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام؛ فإن هذا جهل وضلال.

ومن المعلوم: أن أعظم الكلام وأصحّه كلام الله العزيز، فلو قال إنسان: ما نقبل إلا القرآن، وتعلق بظاهر لفظ لا يعرف معناه، أو أوَّله على غير تأويله؛ فقد ضاهى الخوارج المارقين، فإذا كان هذا حال من اكتفى بالقرآن عن السنة فكيف بمن تعلق بألفاظ الكتب وهو لا يعرف معناها ولا ما يراد بألفاظها؟! والكتب أيضًا فيها من الأحاديث: الصحيح والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فإذا لمْ يأخذ العامي عن العلماء النقاد الذين هم للحديث بمنزلة الصيارفة للذهب والفضة، وخبَطَ خَبَطَ عشوى وتاه في وادٍ جهالة عميا.

ثمَّ قال: إذا عرف هذا تبين أن الذي يدَّعي أنه يستغني بمجموعة التوحيد عن الأخذ عن علماء المسلمين مُحَطَّى؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء، فإذا ذهب العلماء اتَّخذ الناس رؤساء جهالاً وسألوهم وأخذوا بفتواهم ضلوا وأضلوا عياداً بالله.

وممَّا أدخل الشيطان أيضًا: إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له، فإن هذا من أعظم المعاصي، وهو من دين الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة دينًا، بل كل منهم يستبد برأيه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في العسر واليسر والمنشط والمكره، حتَّى قال: "اسمع وأطع، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك". فتحرم معصيته والاعتراض عليه في ولايته وفي معاملته وفي معاقبته ومعهده^(١) اهـ.

(١) الدرر السنية، كتاب الجهاد، الطبعة الثانية (٧/٢٩٤-٢٩٨)، والطبعة الخامسة (٩/١٢٧-١٣٥).

وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالة كتبها: "واشكروه أيضاً على ما منَّ به في هذا الزمان من ولاية هذا الإمام الذي أسبغ الله عليكم على يديه من النعم العظيمة، ودفع به عنكم من النقم الكثيرة، وخوّلكم ممّا أعطاه الله، وتابع عليكم إحسانه صغيركم وكبيركم، وقام بما أوجب الله عليه حسب الطاقة والإمكان، ونظره في مصالح المسلمين وما يعود نفعه عليهم، ودفع المضار عنهم وحسم مواد الشر أولى من نظركم.

والكمال لم يحصل لمن هو أفضل منه، فالذي يطلب الأمور على الكمال وأن تكون على سيرة الخلفاء فهو طالب محالاً، فاسمعوا له وأطيعوا، وراعوا حقه وولايته عليكم، واحذروا غرور الشيطان وتسويله وخداعه ومكره، فإنه متكئ على شمه يدأب بين الأمة بإلقاء الشحناء والعداوة، وتفريق الكلمة بين المسلمين عادة له مذ كان، ولا يسلم من مكره إلا من راقب الله في سره وعلانيته، ووقف عند أقواله وأعماله وحركاته وسكناته، وتفكر في عاقبة ما يصير إليه في مآله، وراجع أهل البصائر والمعرفة من أهل العلم الذين لهم قدم راسخ في المعرفة والفهم.

فإن كان أحد ممن يدعي العلم زين لكم ذلك، وألقى عليكم التشكيكات والتشبهات، وحسّن لكم طريقة أهل البدع والضلالات؛ فاعلموا أنه منفاخ سوء يبدي لكم ما يُخفيه كيره ويلبس عليكم دينكم، فإن كان يدعي أن معه دليلاً من الكتاب والسنة في الطعن على الأئمة والولاية وعلماهم، فليبرز إلينا بما لديه فنحن له مقابلون ومناظرون بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة نبيه مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم- وسيرة الخلفاء المهديين التي تجلو عن القلب عماه، وترد المعارض عن انتكاسه.

فوالله ثمّ والله إنا لا نعلم على وجه الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً شخصاً أحق وأولى بالإمامة منه، ونعتقد صحة إمامته وثبوتها؛ لأن إمامته إمامة إسلامية، وولايته ولاية دينية، فلو نعلم أن عليه من المثالب والمطاعن شيئاً يوجب مخالفته ومنابدته؛ لكننا أولى منكم بالنصح له

وتحذيره ومراجعته، فإنه - والله الحمد - يقبل الحق بمن جاء به ولا يستنكف من الناصح، ومقاماته ونصحه ومدافعتة عن الإسلام وأهله، وبذل إحسانه وعفوه وعدم انتقامه شهيرة بين الورى لا يجحدها إلا معاندٌ مُماحلٌ" (١) اهـ.

وكتب الشيخ سعد بن حمد بن عتيق - رحمه الله - إلى الإخوان: "... وممّا انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين: الاستخفاف بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته، والافتيات عليه بالغزو وغيره، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وإن الخروج عن طاعة ولي أمر المسلمين من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد.

ثم قال: ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء من اتّهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلى التقصير وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله ﷻ، وكتهان ما يعلمون من الحق، ولم يدر هؤلاء أن اغتياب أهل العلم والدين، والتفكه بأعراض المؤمنين سم قاتل وداء دفين، وإثم واضح مبين، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا. (٢) اهـ

وفي رسالة كتبها الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري: "وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم أن مجرد مخالطة الكفار، ومعاملتهم بمصالحة ونحوها وقدمهم على ولي الأمر؛ لأجل ذلك أنّها هي موالاتة المشركين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربّما فهمتم ذلك من الدلائل التي صنف

(١) الدرر السنية، ط ٢ (٧/٢٨٢)، ط ٥ (٩/١٠٤).

(٢) المرجع السابق ط ٢ (٧/٣٠٢)، ط ٥ (٩/١٣٩).

الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ، ومن سبيل النجاة للشيخ حمد بن عتيق^(١).

أولاً: نبين لكم سبب تصنيف الدلائل، فإن الشيخ سليمان صنفها لما هجمت العساكر التركية على نجد في وقته، وأرادوا اجتثاث الدين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل نجد من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم، وكذلك سبب تصنيف الشيخ حمد بن عتيق سبيل النجاة هو لما هجمت العساكر التركية على بلاد المسلمين وساعدهم من ساعدهم حتى استولوا على كثير من بلاد نجد، فمعرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء، فإنه - بحمد الله - ظاهر المعنى، فإن المراد به: موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم، والإمام - وفقه الله - لم يقع في شيء مما ذكر فإنه إمام المسلمين والناظر في مصالحهم، ولا بد له من التحفظ على رعاياه وولايته من الدول الأجنب.

والمشائخ - رحمهم الله - كالشيخ سليمان بن عبد الله، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق إذا ذكروا موالاته المشركين فسروها بالموافقة والنصرة والمعونة والرضا بأفعالهم، وأنتم - وفقكم الله - راجعوا كلامهم تجدوا ذلك كما ذكرنا.

قال الشيخ حمد بن عتيق فيما نقله عن الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ - رحمهم الله -:
وكذلك قوله ﷺ في الحديث: "من جامع المشرك، وسكن معه فإنه مثله". على ظاهره، وهو أن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل؛ بحيث يعده المشركون منهم فهو كافر مثلهم وإن ادعى الإسلام، إلا أن يكون يُظهر دينه ولا يتولى المشركين". انتهى.
فانظر - وفقك الله - إلى قوله في هذه العبارة: "وكون المشركين يعدونه منهم". يتبين لك أن

(١) إن الشيبية المتحمسين والمتأثرين بفكر الثورة والتكفير يُكثرون النقل والاحتجاج والإحالة إلى هذين الكتابين من غير معرفة بمقاصد مؤلفيها؛ موافقين من أنكر عليهم هؤلاء العلماء.. فسبحان الله، ما أشبه الليلة بالبارحة!!!

هذا هو الذي أوجب كفره، وأما مجرد الاجتماع معهم في المنزل فإن ذلك بدون إظهار الدين معصية.

ثم قال: وأما أخذكم العلم من مجرد أفهامكم أو من الكتب فهذا غير نافع؛ ولأن العلم لا يُتلقى إلا من مظانّه وأهله، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية -رحمه الله- في "المنهاج" بعد كلام سبق: "ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بالولاية، وأنه لو تولى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة - يعني: يزيد والحجاج ونحوهما - لكان ذلك خيراً من عدمهم كما يقال: ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام، ويروى عن علي عليه السلام أنه قال: لا بد للناس من إمامة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال: يُؤمّنُ بها السبيل وتُقام بها الحدود، ويُجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء.

ذكره علي بن مهدي في كتاب "الطاعة والمعصية".

وقال فيه أيضاً: وأهل السنة يقولون: أنه -أي: الإمام- يعاون على البر والتقوى دون الإثم والعدوان، ويطاع في طاعة الله دون معصيته، ولا يُخرج عليه بالسيف، وأحاديث النبي ﷺ إنما تدل على هذا. (١) اهـ.

وكتب الشيخ عمر بن محمد بن سليم رسالة نحوها، ومما فيها: "فإن الله سبحانه لما منّ على بادية المسلمين من أهل نجد في آخر هذه الأزمان بالإقبال على تعلم دين الإسلام، ورأى الشيطان

(١) المرجع السابق، ط ٢ (٣٠٩/٧)، ط ٥ (١٥٧/٩).

منهم قوة في ذلك، وحرصاً على الخير، وأيس أن يردهم على حالهم الأولى التي انتقلوا منها أخذ في فتح أبواب الشر وحسنها لهم، وزينها في قلب القوة والصلابة في الدين، وأن من أخذ بها فهو المتمسك بملة إبراهيم، ومن تركها فقد ترك ملة إبراهيم.

ثم قال: ومن كيد الشيطان أيضاً الذي صدهم عن تعلم العلم وطلبه: اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب حرمان العلم النافع...^(١) اهـ.

وفي رسالة كتبها مجموعة من العلماء من سعد بن حمد بن عتيق، وسليمان ابن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف، ومحمد بن إبراهيم إلى... -سلمهم الله من الأهواء وألزمهم كلمة التقوى، آمين:- "وبعد، فأشرفنا على كتابكم الذي أرسلتم إلى الإمام عبد العزيز -سلمه الله تعالى- ذكرت في آخره أنا لا نجتمع وإياك إن خالفت شيئاً مما ذكرنا إلا كما يجتمع الماء والنار، وهذه كلمة ذميمة وزلة وخيمة، تدل على أنكم أضمرت شرّاً وعزمت على الخروج على ولي أمر المسلمين، والتخلف عن سبيل أهل الهدى، وسلوك مسلك أهل الغي والردى، ونحن نبرأ إلى الله من ذلك، وبمن فعله أو تسبب فيه أو أعان عليه؛ لأننا ما رأينا من الإمام عبد العزيز ما يوجب خروجكم عليه ونزع اليد من طاعته، وإذا صدر منه شيء من المحرمات التي لا تسوغها الشريعة فحسب طالب الحق الدعاء له بالهداية وبذل النصيحة على الوجه المشروع، وأما الخروج ونزع اليد من طاعته فهذا لا يجوز.

وأنتم تزعمون أنكم على طريقة مشائخكم وأنكم ما تخالفونهم في شيء يروونه لكم، ولا ندري من هؤلاء المشائخ أنهم مشائخ المسلمين أم غيرهم ممن سلك غير سبيلهم، ويريد فتح باب الفتن على الإسلام والمسلمين؟ أين الخط الذي قد شرفتمونا عليه؟ أين السؤال الذي سألتمونا عنه وأفتيناكم فيه؟ أين الأمر الذي شاورتمونا عليه؟ حتى الخط الذي تدعون أنكم تنصحون الإمام

(١) المرجع السابق، ط ٢ (٧/٣١٣)، ط ٥ (٩/١٦٦).

عبد العزيز عن أمور يفعلها، أنتم مشائخ أنفسكم تُحللون وتُحرمون على أنفسكم، ولا ترفعون لنا خبراً في شيء، ودعواكم أنكم على طريقة المشائخ يكذب ما صدر منكم، وقد علمتم حقيقة ما عندنا وما نعتقده من حين ما حدث منكم الخوض وكثرت منكم الخطوط والمراسلات للإمام، وعرفناكم بما عندنا، وما نعتقده وندين الله به، وهو وجوب السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين، ومُجانبة الوثوب عليه، ومحبة اجتماع المسلمين عليه، والبغض لمن رأى الخروج عليه ومعاداته، اتباعاً لقول الرسول ﷺ: "اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم".

والذي نرى لكم: التوبة إلى الله سبحانه والاستغفار، وعدم التهادي والاسترسال مع دواعي الجهل والغي والضلال، وأن تلتزموا ما أوجهه الله عليكم من القيام بالواجبات واجتناب المحرمات وملازمة طاعة مَنْ ولاه الله أمركم، وانظروا وتفكروا في أحوالكم سابقاً ولاحقاً، واعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها.

فإنكم كنتم أولاً في جاهلية عريضة، وحالة عن الحق بعيدة، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار، وعوامكم جفاة أشرار، لا تعرفون حقائق دين الإسلام، ولا تعملون بالحق إلا بما تهوى نفوسكم مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام، وتعدّي حدود الله وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات، ثمّ هداكم الله لمعرفة دينه، والعمل بتوحيده، وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد، وانتشرت بينكم كتب السنن والآثار، ومصنفات علماء الإسلام، ثمّ أنتم الآن انتقلت بكم الأحوال إلى أنكم تُحاولون الخروج على الإمام، ومنابذة أهل الإسلام، ومفارقة جماعتهم، فاتقوا الله عباد الله واذكروا قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فما أشبه الليلة بالبارحة، وهذا الذي ذكرناه لكم وأشرنا به عليكم من السمع والطاعة للإمام وعدم نزع اليد من طاعته، وعدم الشقاق والخلاف، وترك أسباب التفرق والاختلاف، ومُجانبة سبل أهل الغي والضلال والاعتساف، هو اعتقادنا الذي نحن عليه مقيمون، وله على مرّ الزمان معتقدون، وبه مستمسكون، وعليه موالون ومعادون ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلانية، ومن نسب إلينا غيره فهو علينا من الكاذبين الظالمين، وسيجزيه الله بما يجزي به الظالمين والمفترين، فإن تبتم إلى ربكم ورجعتم عما عَنَّا لكم واستحسنته نفوسكم، فالحمد لله رب العالمين، والمنة لله في ذلك عليكم، وإن أبيتم إلا الشقاق والعناد وسلكتم مسالك أهل الغي والفساد، اعلموا أنا نبرأ إلى الله منكم، ونشهد الله وملائكته وعباده المؤمنين على خطئكم وضلالكم، إنكم قد خالفتم ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وعلماء الملة والدين، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وفي الحديث عن النبي ﷺ: "من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم لسلوك صراطه المستقيم، وأن يُجنبنا جميعًا مواقع سخطه وعذابه الأليم.

وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين. (١) اهـ.

إذا اتضح لك ما عليه هؤلاء الخارجون على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من غلوٍّ في الدين على جهل، وطعن في العلماء والأمرء وإساءة الظن بهم، وفي المقابل بدا لك جليًا ما عليه العلماء الربانيون المتمسكون بما به النجاة من الضلال والعصمة من الفتن، ألا وهو الكتاب والسنة الصحيحة على فهم السلف الصالح، تقرر لدى كل ذي عقل ناصح لنفسه أن النجاة والمخرج من الفتن لزوم ما عليه عامة المسلمين وإمامهم، كما قال رسول الله ﷺ لحذيفة لما قال

(١) المرجع السابق، ط ٢ (٧/٣٢١)، ط ٥ (٩/١٨٣).

له: فماذا تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك؟ قال: **تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم**. قال حذيفة: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **"فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"** متفق عليه. فجعل رسول الله ﷺ الناصح لأمة النجاة والمخرج من الفتن؛ التزام ما عليه إمام المسلمين.

٤- انتقاص العلماء بدعوى أنهم على جهل بفقهِه الواقع:

وهذه فرية تولى كبرها الإخوان المسلمون وأتباعهم من القطبيين والسروريين.

قال الشيخ بكر أبو زيد: "ومن هذا: تسمية الجماعات المعاصرة لمن ينتمي إليهم أحمًا، وأنه فاهم وملتزم، ومن لم ينتم إلى الجماعة باسم الآخرين، ومن أحبهم ومن لم ينضم إليهم ينبرونه باسم: متعاطف، ومتعاون، وعادي، وطيب، والعالم الذي لم ينتم إليهم يلقب بأنه ليس واعيًا أو غير واعٍ بالواقع أو غير فاهم بالواقع، وإصاق التُّهم الكاذبة بالعلماء، والتنفير منهم، والنظر إليهم بعين السخط والاستصغار، وهكذا تشييد جسر مُمتد من الغمز واللمز لعلماء الأمة، والتنقص بهم، بل وصل الحال إلى التكفير فما دونه مما يستخرجونه من قاموس منظارهم الحزبي، وما هذا من شهوة التكفير لدى بعض الفرق المغايرة ببعيد"^(١) اهـ.

ودحض شبهة رمي العلماء بالجهل بالواقع يكون كالتالي:

أ- تحديد معنى فقه الواقع:

فهل المراد بفقهِه الواقع: تتبع الصحف والمجلات والقنوات والإذاعات المبنية على التخرصات والظنون والتي لا يُعلم صدقها من كذبها؟ لأنَّها ما بين نقل أو تحلِيل، فالنقل لا يؤمن من الكذب؛ لأنه ما بين خبر كافر أو فاسق، والله يقول: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

(١) حكم الانتفاء إلى أي الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (ص ١٤٨).

والتحليل لا يؤمن من الخطأ، وأهله فيه مختلفون، كلٌ منهم يُخطئ الآخر، فهو مبني على
تُخرص وظنون، وقد قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**
". متفق عليه، فإن كان هذا المراد بفقهِ الواقع فعلمنا أنه بمنزلة، وأحسن الله عزاء أهله في
أعمارهم وطاقاتهم المهذرة فيما لا ينفع، وما أحسن دعاء رسول الله ﷺ: **"اللهم إني أعوذ بك من**
علم لا ينفع".

وإذا أردت أن تعرف حقًا تحبُّب أهله فيه وخسراتهم الخسران المبين لإغراقهم في بحار ظنونه؛
فاقرأ كتاب **"مدارك النظر"** للشيخ عبد المالك رمضاني - حفظه الله - فما أنفعه!!
وإن كان المراد بفقهِ الواقع: أن العلماء لا يفتون في واقعة إلا بعد تصورهما إذ الحكم على الشيء
فرع عن تصوره، وذلك يكون بدراسة ما له أثر في الفتوى وبمشاورة أهل التخصص، فنشهد بالله
أن علماءنا قد قاموا بهذا، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.
فإن فقهِ الواقع المحدث مذموم، وفقهِ الواقعة شرط في الحكم والفتوى.
واعتبر ذلك بحرب الخليج - هجوم العراق على الكويت - فقد أظهر الله خيبة وفشل دعاة
فقهِ الواقع، فصاروا في أمر مريع، كل ينشق بما يُخالف ويغلط به صاحبه، فمنهم من أقسم ألا تضرب
أمريكا الكافرة العراق، ومنهم من أقسم ألا تفعل العراق شيئاً... إلخ، ممَّا لا أحب تسويد
القرطاس به، فحمى الله أعراض المسلمين، وردَّ كيد الباغين الحاسدين بفتاوى علمائنا وعلى رأسهم
الإمامان: عبد العزيز بن باز، ومُحمَّد بن صالح العثيمين - رحمهما الله - التي خلاصتها: الاستعانة
بالكفار مقابل شيء من حطام الدنيا لردِّ عدوِّ باغٍ يريد إفساد الدنيا والدين، وعلى رأسه التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد.

وحقًا: ممَّا هجم البغاة وردَّ الله كيدهم أمنا في أوطاننا، وإن كنا خسرنا شيئًا غير قليل من حطام
الدنيا، لكنه بمقابل ما هو أكثر من الدنيا، بل وقبل ذلك حفظ الدين والأرواح والأعراض، فاللهم

لك الحمد أبد الأبدین .

ب- تجدد كثيراً ممن يلهج بفقهِ الواقع وتجهيل العلماء به لا يقف عند هذا الحد، بل يتعدى ويعترض على العلماء في أحكامهم الشرعية مع كونه جاهلاً بالشرع أو على أقل تقدير ليس متمكناً منه، فما له لا يحترم التخصص ويترك العلم لأهل العلم، ويتمثل قول القائل: رَحِمَ اللهُ امرأً عرف قدر نفسه؟! أم أن تَعُودَهُ على القيل والقال في الأمور السياسية من غير تثبت جرّأه على القيل والقال في الأمور الشرعية؟!!

وأخيراً: والله إنني لأشفق على أهل فقه الواقع من الظن الذي هو أكذب الحديث، قال رسول الله ﷺ: **"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"**. متفق عليه، وهو من القيل والقال الذي كره لنا، كما أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: **"وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال..."**^(١).

وبعد: فهذه مناظرة علمية لطيفة أُقرب بها الأدلة، ووجه الدلالة، والاعتراضات والرد عليها، وأصف السائر على طريقة سلفنا الصالح وعلمائنا الكبار كابن باز، وابن عثيمين، والفوزان، وعبد المحسن العباد بالناصح، والآخِر المخالف المتأثر بـ"إخوان من طاع الله" بالمنصوح^(٢).

قال الناصح للمنصوح: إنني والله أراك على حالة لا أرضاها لأحد من إخواني المسلمين؛ لأنها مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة بدافع الحماسة والغيرة على الدين، وإياك أن تفهم من كلامي هذا قدحي في صلاح نيتك فقد تكون نيتك حسنة صادقة، لكن حسن النية وحدها ليس من لازمه حسن الأعمال ما لم تكن على شرع الله وفق هدي رسول الله ﷺ بفهم سلف الأمة الأخيار، كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥].

(١) انظر للاستزادة والتوسع: كتاب "فقهِ الواقع بين الدعاوى والبيّنات" لمؤلفه/ سعود العقبلي - جزاه الله خيراً-.

(٢) إن طريقة تقريب العلم بالمناظرة بين شخصين افتراضيين طريقة سلكها جمع من العلماء المحققين: كأبي الوفاء بن عقيل، وابن القيم، والسعدي -رحمهم الله- وهي من باب تقريب العلم وتسهيله، كقول النحاة: ضرب زيد عمراً.

قال الإمام ابن تيمية: "وإنَّ المتَّبِعَ فِي إثبات أحكام الله: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسبيل السابقين أو الأولين، لا يَجُوزُ إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصًّا واستنباطًا بحال" (١) اهـ.

ومَّا يدل على أن حسن النية وحدها لا يكفي: قول عبد الله بن مسعود: وكم مرید للخير لم يصبه. أخرجه الدارمي.

قال المنصوح: جزاك الله خيرًا على نصحك وحبك الخير لغيرك، وبما أنك بدأت فاعلم أنني أيضًا أستنكر عليك أمورًا، لكن أتم ما بدأت به، وفي أثناء تقريرك أورد عليك ما عندي فتفضل، شرح الله صدورنا للحق.

قال الناصح: آمين، أسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أخي الكريم، إنِّي أراك تطعن وتستنقص علماءنا وولاتنا.

قال المنصوح: لحظة أيها الناصح لست أطعن فيهم لذواتهم، وإنما أنا ناصح للأمة ببيان أخطائهم، وهذا من إنكار المنكر الذي فضلت به هذه الأمة، فهل أنت في شك من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال الناصح: معاذ الله، كيف أكون شاكًّا في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصوص متواترة في تقريرها والأمر بها؟ فإن الشك في شرعيتها كفر، لكن لا تنس أن مجرد التبجح بالقيام بهذه الشعيرة لا يكفي ما لم يكن مدعي القيام بها موافقًا في قيامه بها للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فقد احتجت الخوارج والمعتزلة بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنهم صوروه بغير صورته، وجعلوه التكفير بالذنوب والخروج على السلطان الفاسق، فليس كل

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٩٣-٦٩٤).

من احتج بالقيام بهذه الشعيرة مصيباً في دعواه، وإنما العبرة بواقع الحال.

قال المنصوح: إن النصوص الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة لم تفرق بين أمير ولا مأمور، ولا عالم وجاهل.

قال الناصح: كلا، إن النصوص على فهم سلفنا فرقت، ألم يقل رسول الله ﷺ: " الدين النصيحة. قالوا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. أخرجه مسلم. وأئمة المسلمين: هم الأمراء، فلما أفردهم بالذكر دل على أن نصحهم مغاير لغيرهم من عامة الناس.

قال المنصوح: أوكد أنني طالب للحق، وأني لست صاحب هوى متى ما تبين لي الحق بدليله.

قال الناصح: وأنا مثلك، ولولا هذا ما اجتمعنا وفتحنا باب الحوار.

قال المنصوح: إن استدلالك بحديث: الدين النصيحة. استدلال وجيه، لكن غاية ما فيه بيان

أن نصحهم مغاير لنصح غيرهم، ولم يبين هذا الدليل كيف نصحهم؟ فهل لديك ما يدل على كيفية نصحهم؟

قال الناصح: نعم، لكن حتى يكون الكلام مرتباً أبدأ بمناقشة قدحكم في الولاية ثم العلماء،

واخترت أن أبدأ المناقشة بالولاية قبل العلماء؛ لأن كثيراً من قدحكم في العلماء سببه ظنكم مداهنتهم للولاية.

قال المنصوح: ابدأ مستعيناً بالله.

قال الناصح: قبل أن أبدأ أمهد ما أريد طرحه بسؤال أوجهه إليك: هل ولاتنا عندك كفار أم

مسلمون؟

قال المنصوح: لا، مسلمون لكن عندهم أخطاء كغيرهم من عامة الناس، وهذا ما يُصرحون

ويقرُّون به.

قال الناصح: نعم، نسأل الله أن يهدينا وإياهم للخير، فإنَّهم مسلمون، ومعتقد أهل السنة: أنَّهم لا يُكفِّرون بالذنب، والتلطيخ بالذنوب والأخطاء ليس خاصًّا بالولادة؛ بل كلنا فيه ما بين مستقِلٌّ ومُستكثر، والواجب على الجميع التوبة والإقلاع عن الذنب حكماً ومُحكومين.

قال المنصوح: نعم، صدقت، وقد قلت لك: إنِّي لا أكفرهم؛ لكن هناك من يكفِّرهم!

قال الناصح: بماذا - والعياذ بالله -؟

قال المنصوح: بالحكم بغير ما أنزل الله، وإعانة الكفار على المسلمين.

قال الناصح: إنه على فرض وجود هذين الأمرين، فإنِّي أدين الله بأن ترك الحكم بكتاب الله خطير، وسبب للهلاك، لكن ليس كفرًا أكبر كما هو اختيار الإمامين عبد العزيز بن باز، والألباني - رحمهما الله - وكذا إعانة الكفار على المسلمين على خطورته ليس كفرًا أكبر على الإطلاق، كما هو قول جمع من أهل العلم، ومنهم: المذاهب الأربعة في عدم تكفير الجاسوس الناقل لأخبار المسلمين إلى الكفار.

ومنهم الشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن لما قرر أن إعانة الكفار إذا كانت لدافع دنيوي فليس مُخرَجًا من الملة، وهذا ما رجحه شيخنا محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -.

قال المنصوح: عجبًا - والله - لو أفدنتني بزيادة نقولات وأدلة.

قال الناصح: ليس مرادي ببحث المسألة بالأدلة الآن؛ وإنَّما مرادي أن هذه المسائل خلافية بين علماء أهل السنة، فإذا كان كذلك فلا يصح تكفير المعين بالمسائل الخلافية، بل الخلاف في المسألة مانع من تكفير المعين.

قال المنصوح: نعم، أتذكر أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قال: أركان الإسلام خمسة: أولها الشهادتان، ثمَّ الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرَّ بها وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نُكفِّرُه بتركها.

والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليها العلماء كلهم، وهو الشهادتان. (١٠٢هـ).

وقال النووي في كتابه "رياض الصالحين" في تفسير "بواحا": أي: ظاهراً لا يحتمل تأويلاً. وتنازع أهل العلم تأويل يمنع التكفير؛ لأن للمكفر أن يأخذ قول العلماء الآخرين بما أن الخلاف سائغ بين أهل السنة، وهم من أهل السنة، وقد نص على أن الكفر لا يكون في المتنازع فيه الشيخ محمد بن صالح العثيمين في مواضع من اللقاء المفتوح.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في "شرح القواعد المثلى": وكثير من الناس اليوم ممن ينتسبون إلى الدين، وإلى الغيرة في دين الله تعالى نجدهم يكفرون من لم يكفره الله تعالى ورسوله، بل مع الأسف! إن بعض الناس صاروا يناقشون في ولاية أمورهم، ويحاولون أن يطلقوا عليهم الكفر؛ لمجرد أنهم فعلوا شيئاً يعتقد هؤلاء أنه حرام، وقد يكون من المسائل الخلافية، وقد يكون هذا الحاكم معذوراً بجهله؛ لأن الحاكم يجالس صاحب الخير وصاحب الشر، ولكل حاكم بطانتان، إما بطانة خير، وإما بطانة شر.

فبعض الحكام مثلاً يأتيه بعض أهل الخير ويقولون: هذا حرام ولا يجوز أن تفعله، ويأتيه آخرون ويقولون: هذا حلال ولك أن تفعله!

ولنضرب مثلاً في البنوك، الآن نحن لا نشك بأن البنوك واقعة في الربا الذي لعن النبي ﷺ آكله وموكله، وشاهديه وكاتبه، وأنه يجب إغلاقها واستبدال هذه المعاملات بالمعاملات الحلال، حتى يقوم أولاً ديننا، ثم اقتصادنا ثانياً...

فالتعجيل في تكفير الحكام المسلمين في مثل هذه الأمور خطأ عظيم، ولا بد أن نصبر، فقد يمكن أن يكون الحاكم معذوراً! فإذا قامت عليه الحجة، وقال: نعم، هذا هو الشرع، وأن هذا الربا

(١) "الدرر السنينة" (١/١٠٢).

حرام، لكن أرى أنه لا يصلح هذه الأمة في الوقت الحاضر إلا هذا الربا! حينئذ يكون كافرًا؛ لأنه اعتقد أن دين الله في هذا الوقت غير صالح للعصر، أما أن يشبهه عليه، ويقال: هذا حلال، يعني: الفقهاء قالوا كذا! ولأن الله قال كذا!!! فهذا قد يكون معذورًا؛ لأن كثيرًا من الحكام المسلمين الآن يجهلون الأحكام الشرعية أو كثيرًا من الأحكام الشرعية.

فأنا ضربت هذا المثل حتى يتبين أن الأمر خطير، وأن التكفير يجب أن يعرف الإنسان شروطه قبل كل شيء". اهـ.

ومثله التفسيق، لا يكون فيما تنازع فيه علماء السنة، فمن رأى أن علة جريان الربا في الأصناف الأربعة الادخار زيادة على الطعم والكيل والوزن، فليس له أن يفسق العامي المقلد لعالم معتبر في التعليل بالادخار زيادة على الطعم والكيل، أو الادخار إذا تبادل على وجه الزيادة، فما هو مطعوم غير مدخر.

قال الناصح: أحسنت - جزاك الله خيرًا - ولو عقل هذا هؤلاء المكفرون، وكانوا ذوي تقوى وخوف من الله لما تسرعوا وكفروا، فما أحسن العلم!!

قال المنصوح: بودي لو أحلتني على مرجع مفيد يطيل تقرير هاتين المسألتين.

قال الناصح: أما مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، فلوراجعت كتاب "قواعد ومسائل في توحيد الإلهية"، وكتاب "تبديد كواشف العنيد في تكفيره لدولة التوحيد"^(١)، وكتاب "الوقفات على ما في كتاب التبيان من المغالطات" لأبي عبد الله اليميني، وهي ثلاث رسائل موجودة في مكتبة سحاب السلفية على الإنترنت.

قال المنصوح: بما أن المسألة خلافية اجتهادية بين علماء أهل السنة فلا يصح التكفير بها، وهذا أخصر طريق يقنع به المكفر المتهور، وأذكرك أخي بأنني لست أكفر، وكيف أقدم على أمر خطير مثل

(١) قد من الله عليّ بكتابتهما؛ فراجعهما إن شئت.

هذا، ولو لم يكن من خطورته إلا أن المكفر غيره بلا حجة صحيحة يرجع تكفيره عليه؛ كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، وهذا في عامة الناس، فكيف في الحكام والسلاطين، وفي ظني غالب من يُقدم على هذا جهال متحمسون لا دين عندهم رادع.

قال الناصح: أحسنت -بارك الله فيك- ويا ليت المتحمسين المندفعين يعقلون ما عقلت قبل أن يفسدوا الدنيا والدين بحماساتهم غير المنضبطة.

قال الناصح: نعم، أذكر أنك لا تُكفّرهم، وإنما ترى أن عندهم أخطاءً وذنوبًا، وإن ديننا علّمنا كل خير فيه النجاة والفلاح، وممّا علّمنا ديننا الموقف الصحيح الذي يكون به خير الدنيا والدين من الحكام الفساق، وكان سلفنا أفهم الناس وأشدّهم قيامًا به، فالخير كل الخير في اتباع من سلف.

يتلخص منهج الكتاب والسنة على فهم السلف تجاه الولاية فيما يلي:

١- اعتقاد البيعة لهم في أعناقنا: كما روى الإمام مسلم عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله

ﷺ: "من مات ليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية". ونحوه في الصحيحين عن ابن عباس.

٢- عدم الخروج على الولاية وإن فسقوا وجاروا: أخرج مسلم عن ابن عمر أنه قال: قال

رسول الله ﷺ: "من خلع يداً من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة لا حجة له".

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "ولما خرج أهل المدينة عن طاعته -أي: يزيد- وولوا عليهم

ابن مطيع وابن حنظلة، لم يذكروا عنه -وهم أشد الناس عداوة له- إلا ما ذكروه عنه من شرب

الخمير، وإتيانه بعض القاذورات؛ بل قد كان فاسقًا، والفاسق لا يجوز خلع، لأجل ما يثور بسبب

ذلك من الفتنة ووقوع الهرج كما وقع في زمن الحرة، وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات

أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولا بايع أحدًا بعد بيعته ليزيد.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عليّة: حدثني صخر بن جويرية، عن نافع قال: لما خلع

الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثمّ تشهد، ثمّ قال: أما بعد؛ فإننا بايعنا هذا

الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان".

وإن من أعظم الغدر -إلا أن يكون الإشراف بالله- أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله وبيع رسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الفيصل بيني وبينه، وقد رواه مسلم والترمذي من حديث صخر بن جويرية، وقال الترمذي: حسن صحيح "اهـ.

والنصوص في تحريم الخروج متواترة من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وإليك طرفاً منها مُختصراً:

أ- كل نص يدل على السمع والطاعة لولاية الأمر كقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. يدل على حرمة الخروج، ومن ذلك ما روى مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: "اسمع وأطع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع".

وما روى مسلم أيضاً عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "من خلع يداً من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة لا حجة له".

وأخرج الآجري بإسناد صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر بن الخطاب: لعلك أن تخلف بعدي فأطع الإمام، وإن كان عبداً حبشياً، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك، فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني^(١).

وفي رواية أخرى: "وإن ظلمك فاصبر". فهذا إمام ظالم يأخذ الأموال ويضرب ويدعو لما فيه منقصة الدين، ومع ذلك أمرنا بالصبر والسمع والطاعة له في غير ما حرم الله.

كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة

(١) انظر: شرح الآجري لهذا الأثر في كتاب الشريعة (١/ ٣٨١-٣٨٢).

فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة".

ب- عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا من وُلِّيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة". رواه مسلم، وهذا نص صريح في تحريم الخروج على الحاكم الفاسق؛ لأنه أمرنا بكره المعصية وعدم نزع اليد من طاعة الله.

ج- وأخرج الإمام مسلم في صحيحه أن سلمة بن يزيد الجعفي سأل رسول الله ﷺ فقال: "يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سألته، فأعرض عنه، ثم سألته، فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا، فإنها عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم". وهذا نص صريح في السمع والطاعة للحاكم الذي يمنع حقوق الناس المالية وغيرها من أمور الدنيا، وصريح أيضاً في عدم الخروج عليه؛ لأن عليه ما حمل وعليكم ما حملتم.

وقد انعقد إجماع السلف على عدم الخروج على السلطان واستقر مذهبهم على هذا، ودونكم كتب عقائد أهل السنة فانظروها تجدوا التأكيد على هذا الأمر.

قال - رحمه الله - : منهاج السنة النبوية (٤ / ٥٢٩) : كان أفضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث. ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم. هـ.

وقال ابن تيمية: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة، وقاتلهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ.

ثُمَّ قَالَ: وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أزالته" (١) اهـ.

قال ابن حجر: "وقولهم: "كان يرى السيف". يعني: كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور، وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه في وقت الحرّة، ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عظة لمن تدبر" (٢) اهـ.

وقد حكى النووي في شرح مسلم الإجماع على حرمة الخروج على الحاكم الفاسق، فقال (١٢/٢٢٩):

"وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا - أنه ينعزل وحكي عن المعتزلة أيضًا - فغلط من قائله مخالف للإجماع. قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ ادَّعَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُجَاهِدٍ فِي هَذَا الْإِجْمَاعِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ هَذَا بَقِيَامِ الْحَسَنِ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى بَنِي أُمِيَّةَ، وَبَقِيَامِ جَمَاعَةِ عَظِيمَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَالصِّدْرِ الْأَوَّلِ عَلَى الْحِجَابِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ.

وتأول هذا القائل قوله: ألا ننازع الأمر أهله في أئمة العدل.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا الْخِلَافَ كَانَ أَوْلَى ثُمَّ حَصَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى مَنَعِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

(١) منهاج السنة (٣/٣٩١).

(٢) ترجمة الحسن بن صالح بن حي من كتاب "تهذيب التهذيب".

ونص القاضي عياض في إكمال المعلم (٦ / ٢٤٧): وحجة الآخرين أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع وظاهر الكفر لبيعة الأحرار، وتفضيله الخليفة على النبي ﷺ، وقوله المشهور المنكر في ذلك، وقيل: بل كان في هذا الخلاف أولاً ثم وقع الاتفاق بعد على ترك القيام. اهـ.

٣- أن أمر الجهاد مناط بولاية الأمر لا بغيرهم، فلا يشرع الجهاد إلا بإذنهم.

ويدل لذلك ما يلي:

أ- ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله تعالى وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه". فهذا خبر بمعنى الأمر، وهو نص في المسألة.

قال النووي: "الإمام جنة". أي: كالستر؛ لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقيه الناس، ويخافون سطوته، ومعنى: "يقاتل من ورائه". أي: يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم"^(١) اهـ.

وقال ابن حجر: "لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويكف أذى بعضهم عن بعض، والمراد بالإمام: كل قائم بأمور الناس"^(٢) اهـ.

ب- ما روى الشيخان أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك".

وجه الدلالة: أنه مأمور بالتزام جماعة المسلمين وإمامهم، وألا يفارقهم.

(١) شرح مسلم (١٢ / ٢٣٠).

(٢) فتح الباري (٦ / ١٣٦).

فإن قيل: الذي يذهب الآن إلى الجهاد هو ينتقل من جماعة مسلمين وإمامهم إلى جماعة مسلمين آخرين وإمامهم، فهو إذن ملازم لجماعة المسلمين وإمامهم.

قيل: هذا لا يجوز، وهو عين الغدر الذي نهى عنه رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان"، وقد استدل به ابن عمر على حرمة خلع البيعة من يزيد إلى ابن مطيع وابن حنظلة - كما مر آنفاً -.

ومن الأدلة أيضاً على حرمة مثل هذا: ما أخرجه مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "من خلع يداً من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة لا حجة له".

ج- كل دليل يدل على وجوب السمع والطاعة لولاية الأمر في غير ما حرم الله؛ يدل على أن الجهاد لا يجوز للمعين إلا بإذن ولي أمره؛ فإن ولاية الأمور لا يأذنون بالجهاد في هذه الأيام.

د- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فهذه القاعدة دليل على تعليق أمر الجهاد بولي الأمر وإلا لصار الأمر فوضى، ولتنازع الناس فيما بينهم، بل لعل بعضهم يقتل بعضاً، فهذا لا يرى الجهاد مناسباً، والآخر يقاتله لتصوره أنه ينكر شرعته، وآخرون يقاتلون طائفة مسلمة ابتداء لظنهم كفرهم، وهكذا...

٤- جمع الناس عليهم وإبراز محاسنهم وعدم سبهم بما فيهم فضلاً عما ليس فيهم، ومما لم يثبت منه.

ويدل على هذا ما يلي:

أ- كل دليل دال على السمع والطاعة لهم؛ لأنهم يأمرون بجمع الناس عليهم وعدم سبهم.

ب- كل دليل دال على حرمة الخروج؛ لأن سبهم يؤدي إلى الخروج عليهم، فإن كل خروج

فعلي مسبوق بخروج قولي.

ج- أخرج الترمذي عن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكر تحت منبر ابن عامر

- وهو يخطب وعليه ثياب رقاق - فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكر: اسكت؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أهان السلطان في الأرض، أهانه الله اهـ. حسنه الإمام الألباني.

وقال صالح بن عبد العزيز العثيمين: فإذا كان الكلام في الملك بغيبة، أو نصحه جهراً والتشهير به من إهانتة التي توعد الله فاعلمها بإهانتة؛ فلا شك أنه يجب مراعاة ما ذكرناه لمن استطاع نصيحتهم من العلماء الذين يغشونهم ويخالطونهم، ويتنفعون بنصيحتهم دون غيرهم. إلى أن قال: فإن مخالفة السلطان فيما ليس من ضروريات الدين علناً، وإنكار ذلك عليه في المحافل والمساجد والصحف ومواضع الوعظ وغير ذلك، ليس من باب النصيحة في شيء؛ فلا تغتر بمن يفعل ذلك، وإن كان عن حسن نية، فإنه خلاف ما عليه السلف الصالح المقتدى بهم، والله يتولى هداك^(١) اهـ.

وإليك بعض كلمات السلف والعلماء على ما نحن بصدده:

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أمر إمامي بالمعروف؟ قال ابن عباس: إن خشيت أن يقتلك فلا، فإن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك". وهذا الأثر الثابت عن ابن عباس صريح في عدم غيبة الولاية وفي كيفية نصحتهم.

وثبت عن عبد الله بن عكيم فيما أخرج ابن أبي شيبة وغيره أنه قال: "لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان. فيقال له: يا أبا معبد، أو أعنت على دمه؟ فيقول: إنني أعد ذكر مساويه عوناً على دمه". وأخرج ابن عبد البر في التمهيد عن أبي إسحاق السبيعي أنه قال: "ما سب قوم أميرهم إلا حُرِّموا خيره".

وثبت فيما أخرج ابن زنجويه عن أبي مجلز أنه قال: "سب الإمام الحالقة، لا أقول: حالقة

(١) مقاصد الإسلام (ص ٣٩٣).

الشعر، ولكن حالقة الدين".

وأخرج ابن عساكر عن ابن المبارك أنه قال: "من استخف بالعلماء؛ ذهب آخرته، ومن استخف بالأمرأء؛ ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان؛ ذهب مروءته".
قال ابن جماعة عادًا حقوق ولاية الأمر: "رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة، وانتظام أمور الملة، والذب عنه بالقول والفعل وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلانية"^(١) اهـ.

٥- النصح لهم والتعاون معهم على الخير:

إن نصيحة الناس عامة دين يُحبه الله فكيف بأئمة المسلمين كما جاء ذلك في حديث: "الدين النصيحة"، لكن نصيحة الولاية مغايرة لنصيحة غيرهم للمنزلة التي جعلها الله لهم، وقد تقدم قريبًا قول ابن عباس لسعيد بن جبير: "فإن كنت فاعلاً فبينك وبينه ولا تغتب إمامك".

وأخرج الشيخان عن أبي وائل قال: قيل لأسامة بن زيد: لو أتيت عثمان فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ إني أكلمه دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه.

وإليك كلامًا مفيدًا لمجموعة من أئمة الدعوة منهم: الشيخ محمد بن إبراهيم، وسعد العتيق - رحمهم الله رحمة واسعة - قالوا: وأما ما قد يقع من ولاية الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر، والخروج من الإسلام، فالواجب فيها: مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عيه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس وجماع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه، وعرف طريقة

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام (ص ٦٤).

السلف الصالح وأئمة الدين. (١) اهـ.

وقال الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - كلاماً نافعاً - لخص فيه منهج الكتاب والسنة، وسلف الأمة في نصيحة السلطان، قال - رحمه الله - : ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاية وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلاناً يفعلها، لا حاكم ولا غير حاكم، ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه: ألا تنكر على عثمان؟ قال: أنكر عليه عند الناس؟ لكن أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شر على الناس.

ولما فتحوا الشر في زمن عثمان رضي الله عنه، وأنكروا على عثمان جهرة، تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقُتل عثمان وعلي بأسباب ذلك، وقُتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً، حتى أبغض الناس ولي أمرهم، وحتى قتلوه، نسأل الله العافية. (٢) اهـ.

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وألاً يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاية الأمور، فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس. كما أن ملء القلوب على ولاية الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على

(١) الدرر السنية، ط ٥ (٩/١١٩).

(٢) من فتوى للشيخ مطبوعة في آخر رسالة "حقوق الراعي والرعية" لابن عثيمين (ص ٢٧-٢٨).

العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها، فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر: ضاع الشرع والأمن؛ لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلم الأمراء تَمردوا على كلامهم فحصل الشر والفساد.

فالواجب: أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه وأن يعرف العواقب، وليعلم أن من يثور إنَّما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة....^(١) اهـ.

وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق خفية ما يشترف أحد، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر إلينا خفية.^(٢) اهـ.

٦ - الدعاء لهم بالخير والتوفيق:

لما كان ذكر مساوئهم من غيبتهم كما تقدم والخروج عليهم ممَّا لا يحبه الله، وكان جمع الناس عليهم وإبراز محاسنهم ممَّا يحبه الله؛ كان الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق منهجاً لأهل السنة؛ لأن في صلاحهم عز الإسلام والمسلمين.

وقد بيّن علماء السنة أن من معتقدهم ومنهجهم الدعاء للسلطان، فمن أراد النجاة فليسلك سبيلهم فلا طريق موصل إلى الله إلا سبيلهم.

قال أبو عثمان الصابوني: "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، وبسط العدل في

الرعية".

(١) كتاب حقوق الراعي والرعية.

(٢) الدرر السنية، ط ٥ (٩/١٢١).

وقال الإمام البرهاري في شرح السنة: "فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن ظلموا وجاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين" اهـ.

وقال أبو بكر الإسماعيلي في كتابه "اعتقاد أهل السنة": "ويرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلى العدل" اهـ.

وروى أبو نعيم بإسناد صحيح عن الفضيل بن عياض أنه قال: "لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام".

قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام - يعني: عمت - فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد... فقبل ابن المبارك جبهته وقال: يا معلم الخير! من يحسن هذا غيرك؟! اهـ.

وأخرج الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح عن الإمام أحمد أنه قال: وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد، وأرى ذلك واجباً عليّ. اهـ.

وقال الطحاوي في عقيدته: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله تعالى فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة. اهـ.

وقال البرهاري: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة - إن شاء الله -. اهـ.

أخي المنصوح هذا ما لديّ مُختصراً من منهج أهل السنة تجاه الولاية، واعذرني على الإطالة. قال المنصوح: قد سمعتك طويلاً وأشكرك على محاولة التدليل على كل ما تقول، إلا أن لدي بعض الاعتراضات، وأؤكد أنني متجرد للحق متى ما اتضح لي الدليل اتبعته ضارباً بعواظي وما

نُشِّتُ عليه مع بعض أصحابي عُرض الحائط.

قولك - أخي - : اعتقاد البيعة في أعناقنا غريب؛ لأن هؤلاء الحكام الموجودين أخذوا الحكم غلبة وقوة لا اختياراً، فلذا ليست كل شروط الإمامة متوافرة فيهم ومنها شرط تواترت السنة بذكره وأجمع عليه أهل العلم، وهو كون الإمام ولي الأمر قرشياً.

وقبل ذكر باقي اعتراضاتي أحب - إن كان لديك جواب - أن تجيب على كل اعتراض أولاً بأول، فهل لديك جواب على هذا الاعتراض؟

قال الناصح: اعلم أخي أن من أخذ الحكم غلبة استقر الحكم له وصار أميراً وحاكماً يُسمع له ويُطاع، ويُدعى له بالخير من غير نظر لأي شرط ما دام مسلماً، وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال الحافظ ابن حجر: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء" (١) اهـ.

وقال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: الأئمة مُجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء. (٢) اهـ.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله الجميع -: وأهل العلم... متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف يرون نفوذ أحكامه، وصحة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة فسقة ما لم يروا كفراً بواحاً.

ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظرائهم. اهـ. (٣).

(١) فتح الباري (٧/١٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/٢٣٩).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/١٦٨).

وثبت في البخاري عن عبد الله بن دينار قال: شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك قال: كتب: أني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك. اهـ.

ومن كلمات الإمام أحمد - رحمه الله - : "ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجرًا" اهـ^(١).
قال المنصوح: أحسنت - جزاك الله خيرًا - لكنني لم أبايعه شخصيًا، وإنما ولدت في أرض ووجدته حاكمًا عليها.

قال الناصح: مبايعة كل رجل شخصيًا للإمام بالحكم ليس شرطًا، وإنما الواجب اعتقاد أن لهم بيعة في أعناقنا حتى لا نموت ميتة جاهلية فنسمع ونطيع لهم، ومن المعلوم أن عامة الناس تبع لأهل الحل والعقد منهم، فإذا بايع أهل الحل والعقد دخل عامة الناس تبعًا.
وهذا ما قرره سماحة الشيخ عبد العزيز - رحمه الله -^(٢).

قال المنصوح: ذكرت حرمة الخروج على السلطان الجائر، وأوردت أدلة صريحة صحيحة على حرمة هذا الفعل، وذكرت أن الإجماع انعقد على حرمة الخروج، ومع إقراري بأن الأدلة صريحة وكافية لكل متجرد؛ إلا أن هذا الإجماع فيه نظر، فقد قرأت في كتاب "الإمامة العظمى" للدماجيني (ص ٥٣٩) ما نصه: بل قد صرح - أي: الإمام أحمد - بالخلع للمبتدع عند الاستطاعة؛ فذكر ابن أبي يعلى في كتابه "ذيل طبقات الحنابلة" كتابًا ذكر فيه بالسند المتصل اعتقاد الإمام أحمد، قال فيه: وكان يقول: "من دعا منهم إلى بدعة فلا تُجيبوه ولا كرامة، وإن قدرتم على خلعها فافعلوا" اهـ.
فهذا تصريح منه - رحمه الله - بأن صاحب البدعة إن قدر على خلعها فللمسلمين ذلك.

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٣).

(٢) استمع شريط: "أهداف الحملات الإعلامية ضد حكام وعلماء الحرمين".

قال الناصح: إن هذه المسائل العظام لا يُعَوَّلُ في تقريرها على كل من كتب ما لم يكن معروفاً بالسنة واتباع علماء السنة، وهذه المسائل - والله الحمد - مبسطة موضحة في أكثر كتب المعتقد إن لم يكن كلها، وغالبًا إذا درسها الدارس من كتب وشروح من لم يُعرفوا بعلم أو عُرفوا بعلم لكنهم أصحاب بدع؛ وقع في أخطاء وأنحرافات قد تُهلكه وتردي بدينه ونفسه فيما لا يحمد. وقبل مناقشتي لما نقلته من كتاب "الإمامة العظمى" أضرب مثلاً بكتاب زل مؤلفه في تقرير هذه المسائل وهو كتاب "طاعة أولي الأمر" لعبد الله الطريقي، فقد قرر في الكتاب - على صغر حجمه - بلايا منها:

١ - أنه هون من السمع والطاعة في الأمور المباحة، وفرق بين أمره بالمباح ومنهيه عنه، وأنه إنما يسمع له فيما أمر به لا ما نهى عنه على تفصيل أوردته من بنيات عقله، لم يبينه على إثارة من علم فقال - عفا الله عنه -: والذي يظهر لي: التفصيل هنا، وذلك بالتفريق بين الأمر المباح والمنهي عنه، فإذا أمر بالمباح مثل كثير من التنظيمات الإدارية، ومثل تعلُّم العلوم الدنيوية، وتخطيط المدن، ونحو ذلك، فهذا يجب امتثاله.

ثمَّ قال: أما إذا نهى عن أمر مباح، مثل أكل اللحوم، وزراعة بعض الثمار، وركوب بعض المركوبات، والسكنى في أماكن معينة، ومثل الحديث في أمور السياسة أو التجمعات.

ثمَّ قال: فهذا محل نظر بحيث يفرق بين النهي الفردي والنهي الجماعي.

ثمَّ قال: وإن كان جماعياً - أي: مقصوداً به جملة الناس - وذلك بأن يصدر فيه تعميمات عامة وقوانين منظمة، فهذا لا يطاع فيه؛ لأنه يعتبر بمثابة التشريع المخالف لشرع الله لما في ذلك من تحريم الحلال ومنعه، ذلك عن الطاعة في المعروف. اهـ.

والرد على مثل هذا الكلام يطول، لكنني أكتفي بالإشارة إلى أمرين:

الأول: أن هذا التقرير يخالف النصوص التي سبق إيرادها من أن السمع والطاعة في كل شيء

إلا ما حرّم الله، وطاعتهم في ترك المباح ليس ممّا حرّمه الله.

الثاني: قوله: "إن النهي إذا كان جماعياً منظماً فهو من التشريع المخالف لشرع الله". غريب، مُخالف للنصوص الشرعية الآمرة بالسمع والطاعة، ثمّ إن الحكم والتشريع الذي نهى الله عنه أن نترك حكم الله إلى حكم غيره لا أن نجعل حكماً عاماً لا يخالف حكم الله، ثمّ لا أدري: هل نستفيد من هذا أنه يحرم الوقوف عند الإشارات المرورية إذا كانت حمراء؛ لأن هذا نهى عام عن أمر مباح ومثله لا سمع ولا طاعة فيه.

٢- قرر في الإنكار على السلطان والنصح له أنه كغيره لا مزية له، وقد سبق رد هذا بما لا مزيد عليه.

٣- هون من السمع والطاعة للإمام غير العادل، ويورد الخلاف في المسألة ولو كانت من المعتزلة كالزنجشيري (١).

وفي الكتاب أمور أخرى أتركها طلباً للاختصار، وحتّى لا نذهب بعيداً عما نحن فيه. قال المنصوح: لعل هذه الملاحظات تبلغ مؤلفها وتراجع عنها في كتابه نفسه أو غيره؛ حتّى لا يتشبث بها ضعفاء النفوس ممن لديهم خلل في هذا الباب وما أكثرهم -هدانا الله وإياهم لما يُجبه ويرضاه- ولنعد إلى ما أوردته عليك من كتاب "الإمامة العظمى" فإنّي متشوف مناقشة كلامه لظني أن خلقاً تأثروا به.

قال الناصح: في كلام الدميحي - أصلحه الله - عدة أخطاء:

- الأول: أنه عزا نقل هذا الكلام إلى أبي يعلى، والواقع أنه ليس من كلامه، وإنّما ممّا أضافه المُحقق ملحقاً بالكتاب.

- الثاني: نسب القول للإمام أحمد، والواقع أن القائل أبو الفضل عبد الواحد ابن عبد العزيز

(١) كما في ص (٢٥، ٤٢-٤٤).

التمييزي في حديثه عن اعتقاد الإمام أحمد.

- الثالث: أنه زعم أنّها بالسند المتصل، والواقع أن السند منقطع بين أبي الفضل التيمي والإمام أحمد فإن بينهما ما يزيد على مائة وخمسين عامًا.

- الرابع: أن نقل أبي الفضل التيمي عن الإمام أحمد لا يُعتمد عليه؛ لأنه من أعظم المائلين إلى الأشاعرة كما بينه ابن تيمية^(١).

وقد استفدت هذا النقد على كتاب "الإمامة العظمى" من مقال طرحه الأخ الفاضل: خالد الظفيري في شبكة سحاب السلفية (WWW.SAHAB.NET) فجزاه الله خيرًا.

قال المنصوح: قد ذكرت أنه يشترط في الجهاد إذن ولي الأمر، لكن أما ترى أن الجهاد إذا كان فرض عين فلا يُلتفت إلى ولي الأمر.

قال الناصح: كلا؛ لأن الجهاد سواء كان فرض عين أو كفاية فهو واجب مناط شرعًا بولي الأمر لا غيره، فإن قصر في القيام به فعلية، ولا شيء في ذمتنا، ونحن تبع لولي أمرنا.

وهذا ما فعله الصحابة الكرام؛ لذا لم يتركوا النبي ﷺ ويذهبوا إلى نصره أبي بصير وأبي جندل، أو نصره إخوانهم المستضعفين في مكة^(٢).

قال المنصوح: فهل تقول إذن بأن الذين ذهبوا إلى الجهاد بدون إذن ولادة أمرهم ليسوا شهداء؟

قال الناصح: الحكم لمعين بشهادة أو عدمها ليس موكلًا إلينا، لكن الذي يهمني حكم فعلها شرعًا لا الحكم على المعينين منهم، أسأل الله أن يعفو عنا وعنهم.

قال المنصوح: ما رأيك لو قال قائل: أذهب إلى الجهاد بغير إذن ولي الأمر فأكون متلبسًا بذنب

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٦٧-١٦٨).

(٢) انظر كتاب "مهمات في الجهاد" فقد فصّلت في هذه المسألة، وقدم للكتاب: الشيخ العلامة/ صالح الفوزان، والشيخ

الفقيه/ عبد المحسن العبيكان - حفظها الله تعالى -.

معصيته، لكن إذا مت أخذت أجر الشهداء، والشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين؟

قال الناصح: قد أفتى شيخنا صالح الفوزان - حفظه الله - بأن مثل هذا لا يأخذ أجر الشهداء، وفتوى شيخنا - والله أعلم - من باب أن الشريعة تعامل الإنسان بنقيض قصده، كما دل على ذلك حديث عائشة المتفق عليه في قصة بريرة.

فإنه لما قصد الشهادة بطريق مُحَرَّم عومل بنقيض قصده فلا يأخذ أجر الشهادة.

قال المنصوح: قد ذكرت كلامًا مفيدًا في ذكر محاسنهم وعدم سبهم أسأل الله أن يعيننا عليه، لكن مما يدعو بعض الناس أحيانًا لهذا عواطفهم وحماساتهم الشرعية، وبعضهم قد يكون سبب صدور مثل هذا منه بسبب تفويت حظ له من حظوظ الدنيا.

قال الناصح: من كان دافعه الغيرة على الشريعة فليثق الله ولينته عما هو فيه؛ لأن انسياقه وراء عاطفته في مخالفة الشرع هو من اتباع الهوى، وقد امتدح الله من نهى نفسه عن الهوى كما قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

ثم إن معالجة الخطأ بخطأ مثله لا يزيده إلا سوءًا، أما من كان دافعه أمرًا دنيويًا فليتذكر ما هو فيه من النعم وليحمد الله عليها، فإن ثبات النعم بالشكر، وليعلم أن سبه لولي الأمر معصية، ومعصية الله لا تستجلب بها النعم، وليتذكر ما خرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم - وذكر منهم -: رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنياه، إن أعطاه ما يريد وفي له، وإلا لم يف له".

على أنني أظن كثيرًا من هذا بسبب أعدائنا في الخارج الذين يُخالفوننا في المعتقد، وأحيانًا في الدين، وقد يكون للعلمانيين والليبراليين دور كبير حتى يزعموا ثقة الناس بحكام قائمين بكثير من أمور الدين كحكامنا - جزاهم الله عنا خيرًا كثيرًا - ناهيك عن كثير من الكتب الفكرية التي تربى شبابنا على فكر الثورة، وفي مقدمتها كتب سيد قطب - كفى الله المسلمين شره -.

قال المنصوح: ذكرت الدعاء لهم، وأحب أن ألفت نظرك إلى أن المقولة المشهورة عن الإمام أحمد أنه قال: لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان، لا تثبت.

قال الناصح: أخي الفاضل أنا لم أستشهد بهذه المقولة عن الإمام أحمد، وإنما استشهدت بها عن الإمام فضيل بن عياض، وهي ثابتة عنه - كما تقدم - هذا أولاً.

أما ثانياً: فقد نقلت عن الإمام أحمد بالإسناد الصحيح الدعاء للولاية، وأنه يراه واجباً عليه. أما ثالثاً: فكتب العقائد نصت على أن الدعاء للسلطان من منهج أهل السنة - كما تقدم - وهذا كافٍ.

ورابعاً: لماذا التعتت في مثل هذه الكلمة عن الإمام أحمد مع أنها ثابتة عن من هو قبله، وقد ثبت عن الإمام أحمد ما هو أبلغ منها، وهذه الكلمة قد تناقلها عن الإمام أحمد أئمة أجلاء كابن تيمية - رحمه الله -.

قال المنصوح: أوردت هذا من باب الفائدة العلمية، وإلا فإن الحال كما ذكرت. أخي الناصح: إنك لما تكلمت عن طريقة نصح الولاية ذكرت كلاماً نرى بعض العلماء يُخالفونه كالعز بن عبد السلام؛ فإن قصصه في مواجهة الحكام مشهورة، وفي كتب التراجم مزبورة. قال الناصح: إن فعال آحاد العلماء يُحتج لها لا بها، فما وافق الكتاب والسنة وهدى سلف الأمة احتجنا به وما لا فلا، والقصص التي أستحضرها للعز بن عبد السلام فيها أنه قام وأنكر على الحكام في وجوههم أمام الملأ، وفي بعض فعاله شدة لا يوافق عليها، وعلى كل فأصل الإنكار أمام الحاكم ليس محل النزاع، إنما محل النزاع التكلم في السلطان من ورائه في المجالس وعلى المنابر وهكذا، ثم ولو قُدِّر أن للعز بن عبد السلام كلاماً في السلطان من ورائه فإن فعله مردود عليه وهو محجوج بما سبق إيراده من أدلة وأقوال سلف الأمة.

وبالمناسبة: قد رأيت بعض الدعاة الثوريين الحركيين أفرد محاضرة في سيرة العز ابن عبد

السلام، ومنهم من أفرد خطبة، وكانوا في ذلك مركزين على مواقفه الشديدة ضد السلاطين، وقد وقعوا بفعلهم هذا في أخطاء:

من أهمها: أنَّهم يُهيجون العامة والدهماء على حكامهم وعلماهم؛ لأنَّهم بهذا يصورون للناس أن علماءهم مقصرون، وذلك أنَّهم لم يفعلوا فعله، وما علم هؤلاء -أو قد يكونوا عالمين لكن تجاهلوا- أن علماءنا خير من يقوم بهذه الأمور، لكنهم فيما بينهم وبينه على وفق نصيحة ابن عباس لسعيد بن جبير، ومن أعظم الأخطاء أنَّهم بفعلهم هذا يشهرون شخصية العز بن عبد السلام عند الطغام من الأنام، فيتبع الناس بعد ذلك فتاويه، فيكونوا بهذا قد غشوا الأمة؛ لأن العز بن عبد السلام أشعري في المعتقد صوفي في الطريقة التعبدية.

وإليك بيان شيء من أخطائه نصحاً للأمة:

١- أوَّل صفة الأصابع لله، قال في فتاويه (ص ٥٦): معنى قول النبي ﷺ: " **قلب المؤمن بين**

إصبعين من أصابع الرحمن ". أن الله مستولٍ عليه بقدرته وتصريفه كيف يشاء من كفر إلى إيمان، ومن طاعة إلى عصيان، أو عكس ذلك. اهـ.

٢- أوَّل عدة صفات كالرضا، والسخط، والمحبة، والرحمة وغيرها، ولم يثبت من صفات الله

الذاتية إلا سبعة^(١).

٣- جعل قول اللسان وعمل الأركان من الإيثار المجازي لا الحقيقي^(٢).

٤- جعل زيادة الإيثار ونقصانه راجعاً إلى متعلقه لا إلى ذاته^(٣).

٥- أنه صوفي يعظم الصوفية؛ فقد فضل العارف على العالم^(٤).

(١) راجع الإمام في بيان أدلة الأحكام (ص ٢١٩-٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣).

(٢) انظر فتاواه (ص ٧٤).

(٣) انظر فتاواه (ص ٧٣).

(٤) كما في فتاويه (ص ١٣٨-١٣٩).

وقال: الضرب الثاني: علوم إلهامية، يكشف بها عمّا في القلوب، فيرى أحدهم بعينه من الغائبات ما لم تجر العادة بسماع مثله.. ومنهم: من يرى الملائكة والشياطين والبلاد النائية، بل ينظر إلى ما تحت الثرى، ومنهم: من يرى السموات وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها على ما هي عليه، ومنهم: من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه، وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام وأصوات الملائكة والجان، ويفهم أحدهم منطق الطير، فسبحان من أعزهم وأدناهم. اهـ^(١).

وقد نقل ابن تيمية ثناء العز بن عبد السلام على الأشاعرة وذمه لأهل السنة بوصفهم بالحشوية، ثم قال: "وأيضاً فيقال لهؤلاء الجهمية الكلابية - كصاحب هذا الكلام أبي محمد وأمثاله - اهـ^(٢)". والمراد بأبي محمد: العز بن عبد السلام.

قال المنصوح: أخانا الناصح هذا كله في حق الحاكم المسلم ولو كان فاسقاً فاجراً أما الكافر فليس كذلك فكلامك هذا حجة على من لا يكفر، أما من يكفر فلازم ذلك ألا يعتقد أن له بيعه ولا سمعا ولا طاعة وهكذا.

قال الناصح: صدقت لكني أشم من كلامك أمراً عظيماً وهو رائحة التكفير، فهل الأمر كذلك؟

قال المنصوح: معاذ الله أن أقدم على أمر خطير مثل هذا، ولو لم يكن من خطورته إلا أن المكفر غيره بلا رحمة صحيحة يرجع تكفيره عليه كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، وهذا في عامة الناس فكيف في الحكام والسلاطين، وفي ظني غالب من يقدم على هذا جهال متحمسون لا دين عندهم رادع.

قال الناصح: أحسنت - بارك الله فيك - ويا ليت المتحمسين المندفعين يعقلون ما عقلت قبل

(١) قواعد الأحكام (١/١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٥٨).

أن يفسدوا الدنيا والدين بحماساتهم غير المنضبطة.

قال المنصوح: قد جالست بعض هؤلاء المتدفعين ووجدت شبههم لا تخرج عن ثلاث شبه، فحبذا لو تدارسناها واحدة واحدة لعلها أن تبلغ متحمساً فيردع أو نفقها لمناصحتهم والرد على باطلهم وحماستهم.

قال الناصح: استعن بالله لكن بذكرها شبهة شبهة.

قال المنصوح: الشبهة الأولى: أنهم يكفرون هؤلاء الحكام كفرة أكبر بالحكم بغير ما أنزل الله ويستدلون بأدلة من أشهرها قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

قال الناصح: إن المتمسك بالتكفير بمثل هذا لم يتمسك بشيء لأنه ثبت عن ابن عباس والتابعين أنهم حملوا الآية على الكفر الأصغر وأوصيك بالرجوع إلى ما كتبه عبدالرحمن البراهيم في رده الثاني على العلوان المسمى «اتحاف الإخوان بمزالق العلوان» وبما كتبه الأخ / بندر العتيبي في رده على عبدالرحمن المحمود وهي موجودة في موقع سحاب السلفية (WWW.Sahab.net) وما في كتاب «قواعد ومسائل في توحيد الأهلية»، وقد نقلوا هناك أن الشيخ عبدالعزيز ابن باز وابن عثيمين والألباني يرون أن ترك الحكم بما أنزل الله كفره أصغر لا أكبر، ثم لو قدر أن كفره أكبر فإن تنزيله على الأعيان لا يتأتى إلا بعد توافر شروط التكفير وانتفاء موانعه، فالجاهل لا يكفر، وكذا صاحب الشبهة المتأول لا يكفر، فلا أدري كيف استطاعت الحماسة أن تقضي على هذا كله عند المتحمسين وتحول بينهم وبين إدراكه، وما أحسن ما نقله الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - عن عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين أنه قال: وأيضاً: فما تنازع العلماء في كونه كفراً فالاحتياط للدين التوقف وعدم الإقدام ما لم يكن في المسألة نص صريح عن المعصوم ×. وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم، ومن

العجب أن أحد هؤلاء لو سئل عن مسألة في الطهارة أو البيع ونحوهما لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله، بل يبحث عن كلام العلماء، ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدّها خطراً على مجرد فهمه واستحسانه؟ فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين، ويا محتته من تينك البليتين، ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين انتهى أ.هـ^(١).

مسألة إعانة الكفار:

قال المنصوح: الشبهة الثانية: أن كثيراً من الحكام عندهم موالاتة للكفار فينطبق عليهم قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ).

قال الناصح: إن هناك فرقاً بين الولاء المحرم والتولي الكفري والمعاملة الحسنة الجائزة بل قد تكون مستحبة، وقد أبان هذه المسألة بياناً شافياً أبو عبد الله اليميني في ردوده الثلاثة على علي الخضير وناصر الفهد المسمى «الوقفات على شيء من ما في كتاب التبيان من المغالطات»، وكذا أبانها بياناً جلياً الأخ، بندر العتيبي في رده على كتابه التبيان للفهد، وهذه الردود موجودة في موقع سحاب على شبكة الانترنت، وقد بين الفرق بين هذه الأمور الثلاث أئمة الدعوة في مجلد الجهاد من الدرر السنية، ثم لو قدر أن أحد الحكام تلبس بالكفر فلا يلزم من ذلك تفيره بعينه، إذ كفر العين راجع إلى توافر الشروط وانتفاء الموانع، وأعلم الناس بها أهل العلم فكيف غرر هؤلاء الشباب حتى أقدم بعضهم على التكفير وعلماءؤهم مخالفتون له؟

قال المنصوح: ما رأيك يا أخي فيمن يقول: إن هؤلاء الحكام قد أماتوا الجهاد، ويريد أن يكفرهم بهذا الأمر؟

قال الناصح: قولهم: "أماتوا". كلمة مجملة، هل يريد: أنكروا شرعيته؟ فإن كان كذلك فهذا

(١) منهاج أهل الحق والاتباع، ص ٧٧.

كفر، أما أنه أراد أنهم لم يقوموا به فهذا له حالتان:

- الأولى: إن كان لأتّهم أخلدوا إلى الدنيا دون الآخرة ففعلهم حرام، وليس كفرًا؛ لأن غاية

ما فيه أنه معصية.

- الثانية: أتّهم راغبون في الجهاد، ولكنهم ضعفاء لا يستطيعون ذلك، فهم غير متأهلين لا من

جهة القوة الإيمانية، ولا القوة العسكرية، فمن ترك الجهاد بهذه النية فهم مثابون وذوو نظرة ثابتة

يدركها من وقف على كلام أهل العلم كما تراه في الرد الأول على العلوان المسمى: "إتحاف الإخوان

بمزالق العلوان".

ومن كلمات الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: "الآن لماذا لا نحارب

أمريكا وروسيا وفرنسا وإنجلترا؟! لماذا؟! لعدم القدرة، الأسلحة التي قد ذهب عصرها عندهم

هي التي في أيدينا، وهي عند أسلحتهم بمنزلة سكاكين الموقد عند الصواريخ، ما تفيد شيئًا، فكيف

يُمكن أن نقاتل هؤلاء، ولهذا أقول: إنه من الحمق أن يقول قائل: إنه يجب علينا أن نقاتل أمريكا

وفرنسا وإنجلترا وروسيا!! كيف نقاتل؟! هذا تأباه حكمة الله تعالى ويأباه شرعه؛ لكن الواجب

علينا أن نفعل ما أمر الله به: ﴿أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ هذا الواجب علينا أن نعد لهم ما

استطعنا من قوة، وأهم قوة نعلها: هو الإيمان والتقوى... "اهـ."^(١)

فإذا كان لا يلزم من ترك الجهاد "التكفير"؛ فتكفير هؤلاء مردود غير مقبول، دافعه الحماسة

والجهل.

قال المنصوح: قد ذكرت أنه يشترط في الجهاد إذن ولي الأمر، وقد أفاد الإمام ابن تيمية أن في

جهاد الدفع لا يشترط أي شرط بالإجماع.

قال الناصح: صدقت، جهاد الدفع لا يشترط له أي شرط، لكن ينبغي التنبيه إلى أمور:

(١) شرح بلوغ المرام من كتاب الجهاد - الشريط الأول، الوجه (أ).

١ - أنه إذا هجم عدو كافر على دولة مسلمة، وبيننا وبين هؤلاء الكفار عهد وميثاق، فإنه لا يصح لنا مناصرة إخواننا المسلمين ضد هؤلاء الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال المنصوح: عجيب، إذن نجعل الكفار يقتلون إخواننا بمرأى منا.

قال الناصح: كلا، بل لنا حالتان:

- الأولى: أن نكون أقوياء، وإنهاء العهد والميثاق ينفع أكثر مما يضر لقوتنا، ففي مثل هذه الحالة نُنهى العهد بيننا وبين الكفار على علم من الكفار، كما قال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨].

- ثانياً: أن نكون ضعفاء، وإنهاء العهد والميثاق يضر أكثر مما ينفع لضعفنا؛ ففي مثل هذه الحالة نبقى على عهدنا ولا ننصر إخواننا، كما فعل رسول الله ﷺ ولم ينصر أبا بصير وأبا جندل في أثناء صلح الحديبية، وانظر أقوال أهل العلم في كتاب: "مهات في الجهاد".

٢- أن جهاد الدفع يتوقف إذا تغلب الكفار، وصار زمام الأمور بأيديهم، ويكون حكم المسلمين حكم المستضعفين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٨].

فالمسلم المستطيع إقامة دينه يبقى، وإلا فليهاجر كما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه في مكة، وعلى هذا إجماع أهل العلم: أن المستضعف الذي لا يستطيع إظهار دينه ويستطيع الهجرة فإنها تجب عليه، وانظر كتاب "مهات في الجهاد".

٣- أن المحكومين ملزمون بالحكم الذي أبرمه إمامهم، وهم تبع له، فلا يصح لهم أن يذهبوا

بدون إذنه؛ لذا الصحابة الكرام لم ينصروا أبا بصير وأبا جندل، بل التزموا ما عقده إمامهم رسول الله ﷺ من صلح.

قال المنصوح: فعلاً، ويؤيد ما ذكرت أن أكثر الحركات الجهادية ضرت الإسلام أكثر مما نفعته، أسأل الله أن يرفع الضيم عن إخواننا، ويرزقنا ضبطاً لحماستنا وعواطفنا.

قال الناصح: قد انتهينا -الحمد لله- من الكلام فيما يتعلق بالولاية، ولنتقل الآن للدفاع عن علمائنا الكبار الأجلاء كالشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، ومحمد ناصر الدين الألباني، وصالح الفوزان، وعبد العزيز آل الشيخ، وعبد الله الغديان، ومحمد أمان، ومقبل الوادعي، وعبد المحسن العباد -رحم الله حيهم وميتهم-.

قال المنصوح: استعن بالله -وفكك الله-.

قال الناصح: إن هؤلاء السفهاء الطاعنين في العلماء تعددت دوافعهم في الطعن، فسأذكر دوافعهم دافعاً دافعاً مع الإجابة على كل واحدة -إن شاء الله-:
من الدوافع: أن العلماء -في نظرهم- مدهنون للحكام:

والإجابة على هذا الدافع: أن كلمة "المداهنة" حَمَّالة أوجه، ودافع النبي بالمداهنة مختلف عندهم، أريدون أنهم لا يظهرون الإنكار على الحكام أمام الملاء؟ فإن كان كذلك فهذا من محامدهم، فإنه تقدم كلام ابن عباس رضي الله عنه وغيره، أم يريدون أنهم يدعون لولايتهم ويجمعون الناس عليهم في الخير، ويرون لهم حق السمع والطاعة؟ فإن كانوا يريدون هذا فهو من محاسنهم؛ لأنه منهج سلفنا الصالح كما تقدم.

أم يريدون أنهم يقرونهم على المنكر، فإن كانوا يريدون هذا فما أشد كذبهم وما أجرأهم على الإثم، على أنه مما ينبغي التفطن له: أن العالم قد يسكت عن إنكار منكر لمصلحة دفع منكر أشد، أو جلب مصلحة أعظم.

من الدوافع: أن العلماء لا يفقهون الواقع.

وهذه كلمة فضفاضة يرددها المتأثرون بدعوة الإخوان المسلمين من السرورين والقطبيين، وإلا فإنه لا ضابط لفقهِه الواقع عندهم وأصوله المستمدة منه غير موثوق بها لا من جهة النقل ولا التحليل، وقد تقدم في مقدمة هذا الكتاب كلام على هذا، فليراجع فإنه مفيد.

من الدوافع: أنهم يرون العلماء لا يوافقون حماستهم وعواطفهم المفرطة في معالجة قضايا المسلمين.

الحماسيون العاطفيون يظنون العلاج هو الكلام الكثير عن مآسي المسلمين بدون عمل، ويُرجعون السبب في مآسي المسلمين إلى الحكام وقوة العدو، وهذا خطأ، فإن الشريعة جعلت السبب الرئيس لضعف المسلمين أنفسهم كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وبيّن ربنا في القرآن أن الذنوب سبب تسلط الحكام الظلمة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَيِّئُ لِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وأشد الذنوب وأعظمها: الشرك الأكبر الذي عمّ أكثر بلدان العالم الإسلامي، ما خلا المملكة العربية السعودية - حرسها الله - فإنّها تعلن الحرب على الشرك، وتهدم القباب والضرائح، وتُربي أبناءها منذ نعومة أظفارهم على التوحيد الخالص في المدارس النظامية والحلقات والمساجد.

من الدوافع: أن الرموز اللامعة عند كثير من الشباب حركيون حزيون أو متأثرون بالحزبيين. بل بعضهم قد تلتخ بالبدع المختلفة كسب الصحابة وتأويل آيات الصفات، وعلماؤنا - والله الحمد - دعاة توحيد وسنة، فهم يكشفون البدع ويردون على المبتدعة؛ لذا لهم كلمات محفوظة في كثير من الرموز اللامعة عند الشباب، فلاجل هذا صار بعض الشيبية يطعن في علمائنا.

قال المنصوح: أحسن الله إليك، ما أجمل الحق المدعم بالبرهان؛ فإن عليه نوراً، وأضيف إلى ما

ذكرت: أن المتتفع من الطعن في العلماء هم العلمانيون؛ لأن الطعن فيهم ينزل من مكانتهم عند الولاية والعامّة، فتضعف الاستجابة للعلماء الذين هم حماة الشريعة.

قال الناصح: لا فُضَّ فوك، وتذكر أخي ما روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " قال الله تعالى: من آذي لي ولياً فقد آذنته بالحرب ". وإن لم يكن العلماء أولياء الله فمن هم إذن؟!!

قال المنصوح: الحق الذي أشهد الله عليه أنني لم أر في كلامك إلا ما ينشرح له الصدر؛ لأنه مدعم بنور الوحي، ويدل عليه العقل الصحيح، لكن الذي أحب أن أصدقك فيه أنني أشم من وراء كلامك رائحة الجامية، فكأنك متأثر بهم.

قال الناصح: أشكرك على صدقك وتجردك للحق، فإن الله حق ويقول الحق ويُجبه، وكأنك ممن يقدر في الجامية، فيا حبذا أن تبين ماذا تعرف عنهم وعن دعوتهم؟

قال المنصوح: الجامية - فيما أعلم وأسمع - فرقة معاصرة خرجت بعد حرب الخليج ديدتهم الطعن في الجماعات الإسلامية التي على الساحة كالإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ وغيرهما، وتجريح الدعاة والمصلحين وغيبتهم لاسيما سيد قطب وتضييع الوقت في ذلك، والغلو في الأحكام والعلماء، حتى صار كثير منهم مباحث عند الدولة، ولا يرون الجهاد والمجاهدين، بل بلغ الحال ببعضهم أنه يدعو على المجاهد أسامة بن لادن، وتراهم ليسوا أصحاب دعوة، فليست عندهم أناشيد ولا تمثيل، بل هم ينكرون هذه الوسائل التي هدى الله بها خلقاً، وما تراهم يدخلون تجمعا من مدرسة أو مدينة إلا ويفرقونه حتى يكون بعضهم يطعن في بعض، لذا كم من شاب التحق بهم فانتكس، ويُحذرون من حلقات تحفيظ القرآن، فأخشى والله أنك متأثر بهم.

قال الناصح: أوردت أخي كلاماً كثيراً، فما رأيك أن نتدارسه واحداً واحداً؟

قال المنصوح: نعم، لكن قد أقاطع عليك كلامك فتحملني.

قال الناصح: الجامية: نسبة إلى عالم مصلح اسمه مُحَمَّدُ أمان بن علي الجامي رجل ذو اهتمام بالغ بالعقيدة الصحيحة دعوة وشرحًا، وقد كان له درس في العقيدة مشهود في الحرم النبوي استمر سنين طويلة، ويكفي دليلاً على كلامي هذا أن تسمع ما شئت من دروسه في شرح كتب المعتقد: كشرح الواسطية، أو الحموية، أو التدمرية؛ فإن فيها علماً جماً ميسراً بأحسن أسلوب، وقد زكاه وأثنى عليه في حياته وبعد وفاته علماء أفاضل أنقل كلام اثنين منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، وصالح الفوزان.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في كتابه رقم (٦٤ في ٩ / ١ / ١٤١٨ هـ)، قال عن الشيخ مُحَمَّدُ أمان: "معروفٌ لديّ بالعلم، والفضل، وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلى الله سبحانه، والتحذير من البدع والخرافات، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته، وأصلح ذريته، وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته، إنه سميع قريب" اهـ.

وكتب فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في كتابه المؤرخ ٣ / ٣ / ١٤١٨ هـ قائلاً: الشيخ مُحَمَّدُ أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليلٌ منهم من يستفيد من علمه ويُستفاد منه، والشيخ مُحَمَّدُ أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سَخَّرُوا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين، وتوجيههم بالدعوة إلى الله على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية، وفي المسجد النبوي الشريف، وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجوّاله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق يدعو إلى التوحيد، وينشر العقيدة الصحيحة، ويوجّه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذّرهم من المبادئ الهدامة والدعوات المضللة، ومن لم يعرفه شخصياً فليعرفه من خلال كتبه المفيدة، وأشرطه العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير، ونفع كثير" اهـ.

وأقوال العلماء فيه مدحاً وتزكية مسجلة بالصوت في التسجيلات السلفية: كتسجيلات

"منهاج السنة" و"البينة" بالرياض، و"الأصالة" و"الشريعة" بجدة، و"ابن رجب" في المدينة النبوية، و"سبيل المؤمنين" بالدمام، و"المنقذ" بجازان، و"معاذ بن جبل" بمكة.

ولمَّا خرج في أزمة الخليج من عارض علماءنا في فتواهم بجواز الاستعانة بالكفار الأمريكان ضد صدام الباغى، واتَّهم علماءنا بأنَّهم جهال بالواقع فلا يعرج على كلامهم، وكان يغلب على هؤلاء فكر الثورة والظعن في الحاكم.

وكان من كلامهم السيئ في حق علمائنا وحكامنا أن قال أحدهم: إنَّني أعتقد أن زمن الشكوى المُجرَّدة قد انتهى أو كاد ينتهي، أعني: أن دور الخيرين والخيرات لا يجوز أبدًا أن يتوقف عند مُجرد الشكوى للجهات المختصة، حصل كذا وحصل كذا وحصل كذا.

وأقول: إن هذا الدور الذي وقف عند مُجرد الشكوى فقط، قد انتهى لأسباب أهمها، أو يكاد أن ينتهي لأسباب أهمها:

أولاً: لو كان هناك إصرار من القمم على منع ربح التغيير والفساد، لأحكموا غلق النوافذ... ثانياً: ضغوط النفوس لا يُمكن إهمالها بحال من الأحوال؛ الآن ونحن في عصر صار للجماهير فيه تأثير كبير فأسقطوا زعماء وهزوا عروشًا وحطموا أسوارًا وحواجز، ولا زالت صور العُزَل الذين يواجهون الدبابات بصدورهم في الاتحاد السوفيتي بعدما قام الانقلاب الشيوعي الأخير الذي فشل، لا زالت صور أولئك العُزَل يتدافعون في وجوه الدبابات بالآلاف، بل بعشرات الآلاف، حتَّى استطاعوا - وهم لا يملكون ولا رصاصة واحدة - أن يقفوا في وجه ذلك الانقلاب ويفشلوه، لا زالت الصورة ماثلة للأذهان، وقد رآها العالم كله حية على الهواء في شرقه وغربه... اهـ.

فانظر كم في هذا من دعوة إلى الثورة والخروج على السلطان.

وقال أحدهم: الأحداث التي حدثت في الخليج لم تزد على أنَّها كشفت النقاب عن علل وأدواء

خفية كان المسلمون يعانون منها، وأكدت على أنّهم ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت كذلك عن عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين، بحيث إنه تحصر نطاق الخلاف، وتستطيع أن تقدم لهم حلاً جاهزاً صحيحاً، وتحليلاً ناضجاً... اهـ.

لما صدر هذا وأضعافه من بعضهم انبرى الشيخ محمد أمان وإخوانه طلبة العلم لرد هذا الكلام وأمثاله، ورفع منزلة العلماء والتذكير بحق الولاية التي جعلها الله لهم، فغضب المخالفون وأتباعهم فصاروا يحاولون الطعن في هذا العالم الجليل وإخوانه بالتصريح تارة وبالتلميح أخرى. قال المنصوح: لحظة يا أخي، أعوذ بالله من هذا الكلام وصاحبه، لكن ألم يتوبوا، ويتركوا هذا

الفكر المفسد؟

قال الناصح: والجواب على هذا من أوجه:

١- أنّي لا أعرف عنهم التوبة؛ لأن التائب يندم على ما مضى، ويعزم ألا يعود، ويظهر توبته علانية، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٦٠].

٢- أنّهم يسيرون على طريق وخيم مخالف لطريق رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، ذلك أنّهم لا يقيمون عقيدة البراء من البدع والمبتدعة والرد على المخالفين الضالين، وهذه مخالفة لأهل السنة السائرين على طريقة النبي ﷺ وأصحابه في أصل من أصولهم، فكن حذراً. بل إن أحدهم قد ندم على رده على الغزالي المعاصر الجامع لبدع شتى، وآخر أمين عام لمؤسسة دعوية - زعموا - تضم خلقاً كثيراً من أهل البدع، منهم فهمي هويدي ومحمد عمارة المصريان، وأمير جماعة الإخوان المسلمين في السودان، وآخرون منهم.

٣- أن منهج التجميع الذي يسير عليه هؤلاء ويظنونه سبيلاً لعز الأمة هو خلاف هدي السلف كما تقدم، وأيضاً هو نتاج خلط عظيم عندهم - هداهم الله - بين العرض والعلاج والدواء، فلما رأوا ضعف المسلمين ظنوا العلاج جمعهم وتكثيلهم، وتناسوا أن الصحابة هزموا يوم حنين لما

أعجبوا بكثرتهم فلم تنفعهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]. وإلا لو كانوا سائرين على هدي السلف الصالح، وهدى علمائهم لعلموا أن ضعف المسلمين وتغلب الأعداء هو العرض لا المرض، وأن الداء الحقيقي تخلف المسلمين عن دين ربهم، وأعظم ذلك تخلفهم عن التوحيد، وتلبس كثير منهم بالشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

فالناصح للمسلمين حقاً يدعوهم لتعاطي الدواء، وهو الرجوع إلى التوحيد الخالص، وترك الشرك ووسائله والبدع، لا التغاضي عن الداء والاشتغال بالعرض. وتفرع عن هذا الخلط: أنك لا ترى هؤلاء يدعون إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة، والتحذير من الشرك الأكبر كالطواف حول القبور والذبح للأموات واعتقاد علم الأولياء للغيب، ولا تراهم يحدرون من أهل البدع حتى بدأ يظهر تساهلهم وتميعهم مع الرافضة، أسأل الله العافية. قال المنصوح: أسأل الله العافية والسلامة، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قاله الإمام مالك.

قال الناصح: أسأل الله لنا ولهم الهداية، بل إهمالهم لأمر التوحيد، والدعوة إليه، والتحذير من الشرك ووسائله، قد يكون طريقاً من طرق الشيطان اللعين لإرجاع الشرك الأكبر لجزيرة العرب -حماها الله- وذلك أنه إذا نشأ جيل لا يسمع الدعوة إلى التوحيد إلا قليلاً، ويربى على فقه الجرائد والمجلات وكتب المفكرين، فلن تكون عنده غيرة على التوحيد، ولا حماسة له، ثم هكذا يكون الداء في الجيل الذي بعدهم أعضل، فينسى التوحيد والشرك، فيصيبنا ما أصاب قوم نوح كما في البخاري من قول ابن عباس.

فتفطنوا لهذا يا شيب وشباب التوحيد، وربوا على التوحيد أهليكم، ومن استطعتم من المسلمين.

قال المنصوح: لحظة، قد سمعت أحدهم في لقاء معه في إذاعة (MBC) يقول: إننا نحتاج إلى مرجعية علمية، وأنه يجب على العلماء أن يفتحوا أبوابهم للشباب، وأن كثيرًا من الأخطاء التي يرتكبها الشباب بسبب إهمال العلماء، وردد مثل هذا القول آخر في القناة التلفازية الأولى، وآخر في الصحف المحلية، فما رأيك في قولهم؟

قال الناصح: لا أظن قولهم هذا إلا من البغي والظلم الذي لا يحبه الله، وهو من الطعن في أولياء الله بغير حق، وذلك يتضح بما يلي:

قولهم: "نحتاج إلى مرجعية علمية". كلمة يرددونها قديمًا في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ ابن عثيمين -رحمهما الله- كما تقدم في كلام أحدهم، وهذه مغالطة مكشوفة وإلا فما هي لجنة الإفتاء؟ ومن هم هيئة كبار العلماء؟ ومن الشيخ العلامة محدث المدينة النبوية عبد المحسن العباد؟ حتى يطالب بمثل هذه المطالبة.

وحقيقة الأمر: أن القوم لما لم يروا العلماء موافقين لهم في توجهاتهم ورغباتهم صاروا يُحاولون إسقاطهم، وزعزعة الثقة بهم حتى يلتفت الناس إليهم دون هؤلاء العلماء، لكن ليربعوا على أنفسهم، وليعرفوا قدرها.

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

والعجيب: أن أحدهم أخذ يشيد بالشيخ ابن باز -رحمه الله- وأنه يريد مثله، فسלוه -إن كان ينطق- أين هو من كلام الإمام ابن باز في حرب الخليج، وفتوى جواز الاستعانة بالكفار؟ وأين هو من كلام ابن باز لما أفتى بجواز الصلح مع اليهود؟ وأين هو من كلام أصحابه في حياة الإمامين ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله- من أنه تبين عدم وجود مرجعية علمية؟

قولهم: "إنه يجب على العلماء أن يفتحوا أبوابهم للشباب". هذه مقولة من لا يدري ما يقول؟ أو من لا يدري ما عليه العلماء؟ وإلا فإن كثيراً من علمائنا - لاسيما من يعمل في الإفتاء كالشيخ الفوزان وعبد العزيز آل الشيخ - يجلسون للتدريس بعد الفجر، ثم يباشرون عملهم في الإفتاء إلى الساعة الثانية ظهراً إجابة على السائلين باللقاء أو عبر الهاتف، حتى تبلغ مكالمات السائلين للإفتاء يوماً عبر الهاتف فقط ألفين مكالمة تقريباً، غير من يأتيهم ويسألهم، ثم بعد المغرب يأتي الطلاب للدراسة عليهم، وبعضهم تكون له دروس بعد العشاء، غير ما يجيئون عليه عبر الهاتف في بيوتهم، وكتابة المؤلفات والمقدمات للكتب، والردود على المخالفين وهكذا... فبالله عليكم أيقول منصف بأن هؤلاء مقفلون أبوابهم؟!!

قولهم: "إن كثيراً من الأخطاء التي يرتكبها الشباب بسبب إهمال العلماء". بعد هذا الجهد والعمل الدعوي، يُشكر العلماء بمثل هذا! ومن من؟ من أناس محسوبيين على الدعاة!! ألا يعرف هؤلاء قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟ وألا يعرفون أن لحوم العلماء مسمومة؟ هذا كله لو كانوا صادقين في دعواهم، أما وهم ليسوا كذلك، وأن أخطاء الشباب جاءت لأسباب كثيرة منها: أنهم تعلقوا بغير علمائهم وربوهم على فكر الثورة كبعض هؤلاء الدعاة، وإن ممّا أقطع به أنه لولا العلماء لكانت أخطاء الشباب أضعافاً مضاعفة، لكن الله سلّم وخفف بجهود هؤلاء العلماء العاملين.

قال المنصوح: الله أكبر، ما أحسن الإنصاف، ومعرفة الفضل لأهل الفضل.

قد ذكرت في ثنايا كلامك أن هؤلاء الدعاة وأتباعهم حاولوا تشويه سمعة الشيخ الجامي وإخوانه، فهل تستطيع أن تبرهن على ذلك؟

قال الناصح: نعم، وبسهولة، فإن من أعظم البراهين تصورك وغيرك التصور المخطئ عن هذا الشيخ الجامي وإخوانه، وبرهان آخر - في نظري - كافٍ لإسقاط هؤلاء الدعاة وهو أن سماحة

الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - أصدر بياناً أذيع في الإذاعات بكف الألسن عن الغيبة، فاستغل مرضى القلوب هذا البيان وقالوا: إن المراد أهل المدينة، يعنون: الشيخ مُحَمَّد أمان، والشيخ ربيعاً المدخلي وإخوانه، فكذبهم الشيخ في برنامج "نور على الدرب" وغيره، وإذا أردت معرفة المزيد عن هذا الموضوع فاسمع شريطاً أصدرته تسجيلات منهاج السنة بعنوان: "احذروهم فإنهم يكذبون".

قال المنصوح: إن هذا الشيء غريب، والكذب قدح في العدالة، أسأل الله الثبات.

قال الناصح: وقبل أن أنهي حديثي عن الشيخ مُحَمَّد أمان بن علي الجامي ألفت نظرك إلى أمر لطيف ذي أهمية بالغة وهو: أن كثيراً من السذج يقدهم في الشيخ الجامي - رحمه الله -؛ لأنه عاب على بعض الدعاة فكر الثورة الذي يدعون إليه، والآن بعد مضي سنوات ترك هؤلاء الدعاة فكر الثورة، وأدركوا خطأ استعماله في الدعوة إلى الله، فإذا كان كذلك أفلا يستحق هذا الشيخ الجامي من هؤلاء الدعاة وأتباعهم الشكر والدعاء؟ لأنه كان يدعوهم إلى خير لم يتفطنوا له إلا مؤخرًا، فلماذا لا يزالون ذامين له؟

قال المنصوح: نعم، ما لفت النظر إليه حق، وأنا أستغفر الله مما سلف مني.

قال الناصح: الآن أنتقل لمناقشة ما أثرته عن الجامية واحدة واحدة:

- الانتقاد الأول: أنهم أهل غلو في الحكام والعلماء: هذه كلمة مجملة، وطريقة أهل البدع عند طعنهم في أهل السنة أن يأتوا بالألفاظ المجملة ليروج نقدهم وقدهم، فهل رأيتهم أطاعوا العلماء والأمرأ فيما حرم الله؟ وهم يرددون كثيراً أن السمع والطاعة في غير معصية الله كما تقدم بيانه مفصلاً.

- الانتقاد الثاني: أن ديدنهم تجريح الدعاة والمصلحين: هذه أيضًا كلمة مجملة، فمن المراد بالدعاة والمصلحين: أهم الثوريون والمربون للشباب على فكر الثورة والتحزب والتميع مع أهل

البدع؟! أم أن المراد بهم الدعاة السائرون على طريقة علمائنا الكبار وهي طريقة سلف الأمة؟
الواقع: أنّهم إنّما جرحوا النوع الأول؛ لأن هؤلاء خالفوا نهج الكتاب والسنة، ولبسوا على
العوام دينهم وربوهم على الزهد في العلماء الربانيين، والطعن وسوء الظن بحكامهم، وهذا كله
خلاف منهج سلف الأمة كما تقدم.

ثمّ قولك: إن هذا ديدنهم، يفيد أنه لا شغل لهم إلا هذا، والواقع الذي ليس له من دافع أنّهم
هم أصحاب الدروس والمؤلفات وهم المشهورون بالعلم والتعليم، ثمّ لو قدر أن ديدنهم بيان خطأ
المخطئين، والرد على الملبسين؛ لكان هذا من محاسنهم؛ لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
لكنه في الشبهات التي يخفى أمرها على الكثير، وليعلم أن الرد على المخطئين بأسمائهم ليس من
الغيبية في شيء، بل هو من النصح لعامة المسلمين، فقد ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ جَوَّز بيان حال
الخطاب قدحًا أو مدحًا لأجل مصلحة الرضا به زوجًا، فإذا جاز هذا في مثل هذه الحالة الخاصة
فجوازه نصحًا في حالة عامة، وهو النصح للمؤمنين من باب أولى.

وقد قال الحسن البصري والإمام أحمد: ويُحك إن لم تسمه متى يعرفه الناس؟!!

وقال الإمام أحمد: إذا سكت الجاهل لجهله، وأمسك العالم تقيه، فمتى تقوم لله حجة؟

وقال الشاعر:

من الدين كشف العيب عن كل كاذب ... وعن كل بدعي أتى بالمصائبِ

ولولا رجال مؤمنون لهدمت ... معاقل دين الله من كل جانب

وقال الناظم:

القدح ليس بغيبية في ستة متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقًا ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

ومن ذلك قولك: "إنَّهم يطعنون في الجماعات الإسلامية كجماعة الإخوان المسلمين والتبليغ". وهذا من محامدهم، وحتَّى تعرف ذلك لا بد أن تعرف حال هاتين الجماعتين.

* أولاً: جماعة الإخوان المسلمين:

جماعة لا تدعو إلى توحيد الإلهية، والتحذير من الشرك الأكبر، والتحذير من البدع، بل هي متلبسة ببدع مختلفة، وذلك يتضح بما يلي:

١- معرفة حال المؤسس الأول لهذه الجماعة وهو حسن البنا:

أ- أنه صوفي بايع على الطريقة الحصافية^(١)، ويرى شد الرحال إلى القبور^(٢).

ب- أنه موالٍ لليهود والنصارى بزعم أن الدين الإسلامي الحنيف لا يعاديهم ديناً، وأنهم إخوان لنا، وأن عداوتنا مع اليهود عداوة أرض فحسب^(٣).

ج- أنه من دعاة القومية العربية^(٤).

د- أنه من دعاة التقريب مع الشيعة^(٥).

هـ- أنه كان يحضر الموالد وينشد هذا البيت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا... وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

نقله عنه أخوه عبد الرحمن البنا^(٦)، وهذا البيت متضمن للشرك الأكبر؛ لأنه لا أحد يسامح فيما مضى

(١) كتابه مذكرات الدعوة والداعية (٢٥-٢٨، ٣٢).

(٢) مذكرات داعية (ص ٣٣).

(٣) كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١/٤٠٩)، وكتاب في قافلة الإخوان المسلمين (١/١٩٤، ٢٦٢)، وكتاب حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية (ص ١٢٠، ١٦٣).

(٤) كتاب حسن البنا مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة (ص ٦٣-٦٤).

(٥) كتاب موقف علماء المسلمين من الشيعة، والثورة الإسلامية (ص ١٣) وما بعدها، وكتاب ذكريات لا مذكرات (ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٦) انظر كتاب حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه (ص ٧١-٧٢) تأليف جابر رزق، بواسطة كتاب الإخوان المسلمين في

وجرى إلا الله سبحانه، ومع هذا فلست أكفّره؛ لأنه قد يكون جاهلاً.

٢- أنّها جماعة نشأت في أرض يكثُر فيها الشرك الأكبر، فلا تراهم يحاربونه وينكرونه، وكان المفترض - لو كانوا سائرين على هدي الرسول ﷺ وأصحابه- أن يؤلفوا المؤلفات الكثيرة في إنكار الشرك؛ بدل المؤلفات الفكرية المليئة بالأخطاء العقديّة، لكن أنّى لهم هذا؟ وهم فاقدوه، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٣- أن الشيء يُعرف بآثاره، والآثر الذي خلفته: امتلاء السجون بالشباب، وكثرة الاعتقالات بسبب فكر الثورة الذي ربّت الشباب عليه.

٤- أنّها بنيت على أسس منها: القاعدة التي يرددها حسن البنا: "تعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".

وهذه قاعدة فاسدة معناها: تميم الخلاف مع المبتدعة من الصوفية، والرافضة، والمعتزلة، وغيرهم، وهذا فعلاً ما طبقه عملياً: حسن البنا والإخوان المسلمون؛ لذا أنكرها علماءنا الأجلاء كسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز^(١)، والشيخ محمد بن صالح العثيمين^(٢)، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني^(٣). وانظر كتاب "زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون" للشيخ حمد العثمان، تقرّبط الشيخ عبد المحسن العباد، ومراجعة الشيخ صالح الفوزان، واسم الكتاب الجديد: "دراسة نقدية لقاعدة المعذرة والتعاون".

* ثانياً: جماعة التبليغ:

وهي جماعة ضالة، وذلك يتضح بما يلي:

ميزان الإسلام (ص ٦٦).

(١) مجموع الفتاوى (٣/٥٨).

(٢) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (١/٢١٨-٢١٩).

(٣) مجلة الفرقان الكويتية عدد ٧٧ (ص ٢٢).

١ - معرفة حال المؤسس: هو مُحَمَّدُ إِيَّاسِ بن مُحَمَّدِ بن إِسْمَاعِيلِ الكاندهلوي الديوبندي الحنفي مذهباً، الأشعري الماتريدي عقيدة، الصوفي طريقة، أخذ البيعة الصوفية على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثُمَّ جددَها بعد موت الشيخ رشيد على يد الشيخ أحمد السهارنفوري الذي أجازَه في مبايعة غيره على النهج الصوفي المعروف.

وقد كان مُحَمَّدُ إِيَّاسِ يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور مُحَمَّدُ البدايوني، وفي المراقبة الجشتية عند قبر قدوس الكنكوهي الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود. اهـ^(١).

وقال الشيخ سيف الرحمن عن مُحَمَّدِ إِيَّاسِ: هو الحنفي مذهباً، والصوفي مشرباً، قليل البضاعة العلمية، غير شهير فيها لكن كان قوي الحماس للدعوة إلى الدين الإسلامي - بل إلى الدين الصوفي - وإلى المسلك التصوفي الطريقي... اهـ^(٢).

وفي كلام هؤلاء رد على أولئك التبليغيين الموجودين في جزيرة العرب، الزاعمين أن مُحَمَّدُ إِيَّاسِ داعية سلفي يدعو إلى توحيد الألوهية، ونبد الشرك بالله، فانظر إلى أي مدى بلغ التلاعب بعقول الناس؟ وإلى أي حد بلغ التدليس والكذب؟

٢ - أن هذه الجماعة لا تهتم بالدعوة إلى توحيد الإلهية - العبادة - وهي الدعوة التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق الثقلان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهي وإن ذكرت من أصولها الكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله"، إلا أنَّها من أبعد الناس عنها، وذلك أن التوحيد الذي يعتنون به هو توحيد الربوبية الذي أقر به كفار قريش

(١) كتاب حقيقة الدعوة إلى الله تعالى (ص ٧٥).

(٢) كتاب نظرة عابرة اعتبارية حول جماعة التبليغ (ص ٧-٨)، وانظر كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية للأستاذ أبي

أسامة سيد طالب الرحمن (ص ١٩-٢١).

ولم يدخلهم في الإسلام دون توحيد الألوهية الذي من أجله أرسلت الرسل^(١).

والدليل على أن هذه الجماعة لا تعني بتوحيد الإلهية - العبادة - أدلة أقصر على ثلاثة، وهي:

أ- أن في مركزهم الرئيس في الهند والسودان قبورًا، وكذا بجوار مركزهم الرئيس في رائي وند

بالباكستان، ذكر هذا من خبرهم وعایشهم ثمان سنوات الشيخ المعروف سعد الحصين^(٢).

ب- أن أكابر المنتسبين إليها على عقائد شركية وبدعية، ومع ذلك ما زالوا من أكابرهم؛ فهذا يدل

دلالة واضحة على أن الجماعة لا تبالي بتوحيد العبادة.

قال الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي: إن أكابر أهل التبليغ يرابطون على القبور،

ويتنظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويقرون بمسألة حياة النبي - صلى

الله عليه وسلم - وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثلما يقر القبوريون بنفس المعنى. اهـ^(٣).

وقد نقل الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - شهادة سبعة أشخاص مع تواقعهم أن هذه الجماعة

عندها كفريات وبدع^(٤).

ج- أنك إذا جالست أفراد هذه الجماعة رأيت تفسيرهم للكلمة الطيبة بما يتعلق بتوحيد الربوبية

(١) انظر كتاب الصفات الست عند جماعة التبليغ (ص ٢٢-٢٨)، القول البليغ (ص ٨، ٢٠٥)، كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية (ص ٢٢)، وكتاب وقفات مع جماعة التبليغ (ص ١٧).

(٢) كتاب حقيقة الدعوة (ص ٧٧-٧٨)، وانظر القول البليغ (ص ١٢)، وانظر كتاب الصفات الست (ص ٨١)، علمًا أن الشيخ سعدًا الحصين ممن زكاه أهل العلم، قال فيه الشيخ صالح الفوزان: فضيلة أخي العلامة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين حفظه الله، وزاده علمًا نافعًا وعملاً صالحًا، فقد كشف زيف هذه الجماعات عن علم بها وخبرة بأهدافها ومقاصدها، وذلك في كتابه القيم الذي بين أيدينا بعنوان "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها". اهـ. من مقدمة الكتاب (ص ٤).

(٣) (ص ٤٧) كتاب نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية، بواسطة القول البليغ (ص ١٢)، وانظر القول البليغ (ص ١٢-١٤).

(٤) القول البليغ (ص ١٨٧-١٩٠)، وكذلك نقل أبو أسامة صاحب كتاب جماعة التبليغ شهادات عن جماعة، راجعها (ص ٤٤٥-٤٥٢).

دون الألوهية. فجرب تجد - حماك الله - وإن كون هذه الجماعة لا تهتم بالتوحيد كافٍ في إسقاطهم عند الموحدين السائرين على طريقة النبيين والمرسلين؛ ذلك لأن دعوة الأنبياء والمرسلين هي الدعوة إلى أفراد الله سبحانه بالعبادة دون أحد سواه، فمن خالفهم في الدعوة فليس من أتباعهم الناجين.

د- أن هذه الجماعة أعدت لأتباعها من العجم كتاب: "تبليغي نصاب" وفيه - كما سيأتي - الدعوة الصريحة إلى طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ، وهذا - كما يقرر علماءنا - شرك أكبر مُحبط للعمل ومُخرج من الملة، فبإعدادهم لهذا الكتاب والحث عليه، بل وتوزيعه، تكون جماعة التبليغ قد أدانت بأنّها ليست مهمة لدعوة التوحيد فحسب، بل هي داعية شرك، نسأل الله السلامة.

٣- أن هذه الجماعة قد انغمست في البدع المختلفة فهم يبايعون العجم ومن يثقون به من العرب على الطرق الصوفية المبتدعة الأربعة: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية^(١).

وكذلك كتابهم المعد لأتباعهم من العجم "تبليغي نصاب" فيه من البدع الكثيرة المهلكة منها:

أ- الحث على السفر إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر الرسول ﷺ بعد الحج بدليل: "من حج

فلم يزرنه فقد جفاني". وهذا الفعل بدعة والحديث موضوع.

ب- الحث على التوجه لقبره ﷺ بالدعاء الآتي: "يا رسول الله، أسألك الشفاعة".

ج- صفة السلام على العمرين أبي بكر وعمر: "جئناكما نتوسل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع

لنا ويدعو لنا ربنا".

د- فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخرج يده من قبره ليتمكن الشيخ أحمد الرفاعي "في

القرن السادس الهجري" من تقبلها على مرأى من تسعين ألف مسلم، فيا سبحان الله إلى هذه

الدرجة التلاعب بعقول الناس والأصحاب، أليس من بينهم رجل رشيد؟!!

(١) ذكر هذا الشيخ سعد الحصين في رسالته المتضمنة نصيحة لرئيس جماعة التبليغ حالياً، انظرها مذيلة في كتابي ابن تيمية

وجماعة التبليغ، وانظر القول البليغ (ص ٧-٩، ٢٠٩، ١٣٧).

هـ- فيه أن الكعبة تذهب إلى بعض الصالحين في أماكنهم^(١). فحث الجماعة على كتاب "تبليغي نصاب" تكون جماعة التبليغ داعية إلى البدع الموبقة.

٤- لا يهتم التبليغيون بالعلم، وليس عندهم في مناهجهم العلم بمعناه الحق - معرفة أحكام الشرع بأدلته- والدراسة على العلماء، فهم مفرطون في شرط العبادة الثاني، وهو المتابعة لرسول الله ﷺ (٢).

فيا سبحان الله إذا لم يكن عندهم علم فألى أي شيء يدعون؟! وهل فاقد الشيء يعطيه؟! ودعوة الأنبياء دعوة على علم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ [يوسف: ١٠٨]. فلأجل عدم اهتمامهم بالعلم وقعودهم في بدع كثيرة في باب العبادات - زيادة على ما سبق ذكره من البدع-^(٣).

فإذا تقرر هذا واستقر فهذه الجماعة تدعو إلى الشرك الأكبر بتوزيعها كتاب "تبليغي نصاب" الذي فيه: توجه إلى قبر رسول الله ﷺ بالدعاء الآتي: "يا رسول الله، أسألك الشفاعة"، فلو لم يكن عند التبليغيين إلا هذا لوجب البراءة منهم، والتحذير من توجههم ليل نهار حماية للتوحيد مما ينافيه، فقد قرر علماءنا أن هذا الدعاء شرك أكبر - والعياذ بالله-.

فإن قيل: هذا في حق التبليغيين خارج السعودية، أما من داخلها فليسوا كذلك.
فالرد من أوجه:

١- أن هؤلاء التبليغيين الهنود ونحوهم مبتدعة - على أقل الأحوال - فالواجب البراءة منهم، والتحذير من سلوك طريقهم لا الانتساب إليهم والدفاع عنهم، كما هو حال التبليغيين الموجودين

(١) راجع كتاب حقيقة الدعوة إلى الله تعالى (ص ٨٢)، وكتاب الصفات الست (ص ٢٥، ٤٠، ٥١-٥٩)، وكتاب وقفات مع جماعة التبليغ (ص ٦٥)، والقول البليغ (ص ٢٠٠).

(٢) انظر كتاب جماعة التبليغ (ص ٤٨)، ووقفات مع جماعة التبليغ (ص ٢٢، ٢٩، ١٩٩).

(٣) راجع كتاب الصفات الست (ص ٣١-٣٥، ٦٠-٦٣).

في جزيرة العرب.

قال الشيخ حمود التويجري: وأما قول السائل: هل أنصح بالخروج مع التبليغيين في داخل

البلاد - أي: البلاد السعودية - أو في خارجها أم لا؟

فجوابه أن أقول: إنني أنصح السائل وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من

أدناس الشرك والغلو والبدع والخرافات ألا ينضموا إلى التبليغيين، ولا يخرجوا معهم أبداً، وسواء

كان ذلك في البلاد السعودية أو في خارجها؛ لأن أهون ما يقال في التبليغيين أنهم أهل بدعة وضلالة

وجهالة في عقائدهم وفي سلوكهم، ومن كانوا بهذه الصفة الذميمة؛ فلا شك أن السلامة في مجانبتهم

والبعد عنهم.

ثم قال: وقد كان السلف الصالح يحذرون من أهل البدع، ويبالغون في التحذير منهم،

وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم

وهجرهم.

قال الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في "عقيدة أهل السنة والجماعة": "ويُجانبون أهل

البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في

الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم

في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان ووقرت في

القلوب؛ ضرت وجرت إليها الوسوس والخطرات الفاسدة. اهـ.

قال الإمام إسماعيل الصابوني: "واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم

وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله

بمجانبتهم ومهاجرتهم". اهـ^(١).

(١) القول البليغ (ص ٣٠-٣٢).

٢- أن هؤلاء التبليغيين المنتسبين للعقيدة السلفية متشبهون بأولئك المبتدعة في الدعوة إلى الله، وقد ثبت عند الإمام أحمد، وأبي داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "من تشبه بقوم فهو منهم". وهذا نص عام يشمل حتى المبتدعة، وقد عممه طائفة من أهل العلم حتى على الفساق فكيف بمن هم أشد وأضل؟ المبتدعة^(١).

٣- أنهم وإن سلموا مما عندهم من الشريكات إلا أنهم لم يسلموا من الأمور الأخرى البدعية والدعوة بجهل، ومن المشاهد لكل ذي بصيرة أن كثيرًا منهم جهال ليس لهم عناية بعلم، بل شأنهم في المجالس حكاية القصص -التي الله أعلم بصحتها- والأمثال، وهذا من المشهور المعروف عنهم، فهو غني عن البرهان والتدليل، وجهلهم هذا بالشرع سبب لهم أمورًا مذمومة من الوقوع في البدع، وتناقل الأحاديث الضعيفة، بل ونسبة بعض الأقوال إلى رسول الله ﷺ ظنًا منهم أنها من كلامه ﷺ، ومجالسة أصحاب المنكرات حال تلبسهم بالمنكر، وعدم الإنكار عليهم^(٢).

٤- أنهم وقعوا فيما وقع فيه تبليغيو الهند وباكستان من الخروج بالجهال للدعوة إلى الله، وقد سبق أن هذا من البدع، وأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٥- أنهم سائرون على طريقة تؤدي إلى تقسيم المسلمين وجعلهم أحزابًا وشيعًا، وذلك أنهم تسموا باسم جديد مُحدث جعلهم متميزين به عن باقي المسلمين السائرين على طريقة السلف الماضين، ومعلوم كم لهذا من الأثر في تفريق المسلمين، وإشعال الخصومة بينهم فصاروا يسمون أصحابهم أحزابًا ودروسهم بيئات، ومن المقرر في الشرع أن ما أدى إلى تفريق المسلمين وجعلهم أحزابًا مُحرم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ

(١) ومن أولئك العلماء: القرطبي والصنعاني والنووي، إذ حرم الضرب بالصفقتين؛ لأنه تشبه بالمختين. راجع روضة الطالبين

(٢٠٦/٨)، وسبل السلام (٤/٢٣٨)، وكتاب التشبه المنهي عنه (ص ٦٩).

(٢) القول البليغ (١٣-١٥، ٢٧٥).

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿﴾ [الروم: ٣١-٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ليس في الكتاب ولا السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب، بل في الكتاب والسنة ما يذم ذلك. اهـ.

ثم بيّن خطأ قول القائل: لا يُمكن للدعوة أن تقوى وتنتشر إلا إذا كانت تحت حزب^(١).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة، أو جمعية، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية، أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به، والتحذير منه، بمن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله -جل وعلا-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومما لا شك فيه: أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين، ووحدهم، وإدراكهم الخطر الذي يهددهم، ويستهدف عقيدتهم، يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين، ودرء الخطر عن دينهم، وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن. اهـ^(٢).

(١) كتاب الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (ص ١٥٤، ١٥٥)، وراجع -فضلاً لا أمراً- كتاب حكم الانتفاء فإنه من خيرة ما كتب في هذا الباب.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٥/٢٠٣).

وللعلماء الكبار فتاوى في هذه الجماعة تجد كثيراً من هذه الفتاوى في كتاب "الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ". ومن أحسن الكتب المؤلفة في الباب كتاب "القول البليغ في جماعة التبليغ" للإمام المُجاهد الشيخ حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله -.

الانتقاد الثالث: أنهم لا يرون الجهاد.

وهذه لفظة مُجملة لا بد فيها من تفصيل على نحو ما تقدم، فلا يستطيع أحد أن يثبت عن أحد هؤلاء أنهم أنكروا شرعية الجهاد، والبيّنة على المدعي، والله حسيب كل امرئ، وسائله عمّا فاه به؛ فليُعد لكل سؤال جواباً.

الانتقاد الرابع: أن بعضهم يدعو على أسامة بن لادن.

والجواب: اعلم أخي أن أول من قدح في أسامة بن لادن سَمَاحَة الإمام عبد العزيز ابن عبد الله بن باز - رحمه الله -.

فقال - رحمه الله -: ونصيحتي للمسعري، والفقير، وابن لادن، وجميع من يسلك سبيلهم أن يدعوا هذه الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله، ويحذروا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى الله ممّا سلف منهم... اهـ^(١).

وكان ينبغي عليك قبل استنكار القدح في ابن لادن أن تسأل لماذا قدحوا فيه؟ إن لأسامة بن لادن كالمُدعو مُحَمَّد المسعري أوراقاً يرسلها بالفاكسات فيها تهيج للشعب السعودي على حكومته، وإظهار معائب الحكام وتهويلها، ثم هو قد انتهج نهج التكفيريين حتّى إنه قال بعد ضربة " ١١ سبتمبر": انقسم الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لانفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه.

وبهذه الكلمة كفر حكام الدول الإسلامية وعلماءنا كالشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان وغيره ممن لم يقرّوا عملية تفجيرات " ١١ سبتمبر".

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٥٠ / ١٤)، ومجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٩ / ١٠٠).

وفي تصريحه الأخير في شهر ذي الحجة من هذا العام ١٤٢٣هـ صرح بتكفير جميع حكام العرب وفي مقدمهم الأمير عبد الله، وقال: لا فرق بين كرزاي أفغانستان وكرزاي الرياض - يعني: الملك عبد العزيز رحمه الله -، ووصف علماءنا بالمداهنة، وأنهم علماء السلطان، ووصف فتاواهم في حرب الخليج ضد العراق بأنها فتوى مداهنة، فالشيخ ابن باز، وابن عثيمين وبقية إخوانهم العلماء - عنده - مداهنون، أسأل الله أن يعامله بما هو أهله.

ثم لا تسأل كم جنت تحدياته وعملياته التفجيرية من دمار على المسلمين في أرض أفغانستان، فلا يعلم إلا الله كم هُتكت من عرض، وسُفك من دم، وكم أزهقت من أنفوس، وكم تقطعت من أشلاء، وكم شوهت من أبدان، وكم هُدمت من دور على أهلها وهم أحياء، كل هذا نتيجة الحماسة غير المنضبطة وغير المقرونة بالعلم الشرعي، فهل بعد هذا يلام من يُجاربه، ويحارب أمثاله ممن يحملون الفكر التهورى المراهق؟ وهل بعد هذا يلام من جاهد بالحجة والبيان ما عليه أصحاب هذا التوجه من ضلالات حماية لدماء وأعراض وممتلكات المسلمين؟

وما هذه التفجيرات والاختطافات التي تعيشها رياض نجد إلا ثمرة لهذا التوجه المشين، عجل الله بالقضاء عليه.

قال المنصوح: انتظر أخي، أليس الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين قد أثنى وزكى ابن

لادن؟

قال الناصح: ليس الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - وحده الذي أثنى على ابن لادن، بل حتى العلماء الآخرين؛ لكن هذا قبل أن يظهر فكره التكفيرى الثورى للعلماء والسلاطين، وذلك لما كان ديدنه الجهاد أيام الجهاد الأفغانى الأول.

أما وقد صار حاله كما ترى، فإن العلماء يذمون، ولا يوافقونه، ولا يستطيع أصحاب ابن لادن المدلسون أن يأتوا بكلمات عن الشيخ ابن عثيمين في تزكية ابن لادن بعد ظهور فكره المفسد، وتزكية

الشيخ ابن عثيمين قديمة لما ألقى ابن لادن مُحاضرة في القصيم، وهذا بالطبع قبل إظهار عدائه لهذه الدولة؛ لذا كانت مُحاضرته فيها.

قال المنصوح: هل معنى كلامك أنك تكفّر أسامة بن لادن؟

قال الناصح: أبرأ إلى الله من تكفيره، ولا تلازم بين تكفيره وكونه مفسدًا.

الانتقاد الخامس: أئهم ليسوا أصحاب دعوة؛ لأنه ليس عندهم أناشيد ولا تمثيل.

الجواب: كونهم ليسوا أصحاب دعوة، هذه لفظة مُجملة: أتريد على طريقتكم من الدعوة

بالأنشيد والتمثيل التي حرمها كثير من العلماء، وأقل ما فيها أنها من الشبهات التي يحسن اجتنابها،

كما قال رسول الله ﷺ: **"من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"**. فنعم، هم ليسوا أصحاب

دعوة على هذه الطريقة، بل طريقتهم هي طريقة رسول الله ﷺ بتعليم الناس الحرام والحلال في

الدروس وتجمعات الناس، ووعظهم وتخويفهم من النار، وتذكيرهم بالجنة، ثم إن رسول الله ﷺ

لم يتخذ الأناشيد والتمثيل وسيلة يدعو بها، فهل معنى هذا أنه ليس داعية ﷺ؟!!

وقد ذكرت أن كثيرًا من الناس اهدتوا بهذه الوسائل، ولو سلمت بهذا جدلاً، فإن الغاية لا

تبرر الوسيلة، ولو كانت هذه الوسائل خيراً لما تركها رسول الله ﷺ وأصحابه.

الانتقاد السادس: أئهم فرّقوا الشباب، وجعلوا بعضهم يطعن في بعض.

والجواب: هذه أيضاً كلمة مُجملة، فإن أمر الناس بالخير ونهيهما عما يسيرون عليه من طرائق

ضالة مُخالفة لهدي سلف الأمة، ليس تفريقاً، بل هو جمع الناس وردهم لما عليه السلف الصالح،

وذلك مثل أن يخرج داعية مصلح في أرض تكثر فيها البدعة فيدعوهم إلى التوحيد والسنة، ويتفرق

الناس بعد ذلك إلى فريقين: فريق مستجيب، وآخر معرض عنيد، فإن هذا الداعية لا يُذم، ويُعاب

عليه تفريقه للناس، وإنما الذي يُذم ويُعاب من لم يستجب للحق، ومثل هذا قل فيما نحن بصدد.

الانتقاد السابع: أئهم مباحث وعملاء للدولة.

هذه أيضًا كلمة مُجملة، إن أردت بها أنهم معينون دولتهم - دولة التوحيد - على ما فيه حفظها من شرور أهل الشر، سواء كانوا من الداخل أو الخارج، فهذا خير وعمل صالح، ومن التعاون على البر والتقوى، وهو صنع العلماء كالشيخ ابن باز - رحمه الله - وإن أردت أنهم يعينون الدولة على ما لا يرضي الله، فاتق الله، واعلم أن الكلام في أعراض عامة الناس بلا بينة كبيرة، فقد أخرج الإمام أحمد، وأبو داود عن ابن عمر أنه قال: "من قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال".

وردغة الخبال: هي عصارة أهل النار.

ومن لطيف ما قرأت ما ذكر الشيخ عبد السلام بن برجس - رحمه الله - في كتابه "قطع المرء في حكم الدخول على الأمراء":

"ثم ذكر الخطيب آثارًا عن السلف في ذلك منها: عبد الملك بن إبراهيم الجدي - الثقة المأمون - قال: رأيت شعبة مغضبًا مبادرًا، فقلت: مه يا أبا بسطام، فأراني طينة في يده، وقال: أستعدي على جعفر بن الزبير، يكذب على رسول الله ﷺ، وعن الشافعي قال: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تُحدث، وإلا استعديت عليك السلطان، وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: استعديت على عيسى بن ميمون في هذه الأحاديث التي يُحدثها عن القاسم، فقال: لا أعود. اهـ. ما ذكره الخطيب - رحمه الله تعالى -.

وقد ذكر ابن جماعة - رحمه الله تعالى - حقوق ولي الأمر، فذكر منها:

الحق السادس: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يخاف عليه منه، ومن كل شيء يخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من أكد حقوقه وأوجبها.

الحق السابع: إعلامه بسيرة عماله الذين هو مطالب بهم، مشغول الذمة بسببهم؛ لينظر لنفسه

في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته...

إلى أن قال: الحق العاشر: الذب عنه بالقول والفعل وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن والسر والعلانية اهـ. من "تحرير الأحكام".

فهذا ما قاله علماء الإسلام وأئمتهم، فليبك على نفسه متعالٍ خرج عن سبيلهم، وأضل الناس بمحض خيالات أو هواء، لا يركن إليها إلا شقي، فاللهم سلم سلم^(١). اهـ.

الانتقاد الثامن: أنهم يردون على سيد قطب.

وأيم الله إن ردهم على سيد قطب من محاسنهم، فإنه الجامع لأخطاء عقديّة شتّى من سبِّ موسى عليه السلام والصحابة الكرام، وتكفير للمجتمعات وتأويل لكثير من الصفات على طريقة أهل البدع والضلال، وقد توارد الرد عليه أكثر من عشرين عالمًا ومفكرًا من أولهم محمود شاكر - رحمه الله - في سببه للصحابة، وجرت بينه وبين سيد ردود، ثم بعد ذلك رد عليه الشيخ الحافظ عبد الله الدويش - رحمه الله - في كتابه "المورد الزلال"، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي في عدة كتب.

ومن العلماء الرادين عليه سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز، وشيخنا محمد بن صالح العثيمين، وشيخنا محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - وشيخنا صالح الفوزان، كما تجد ذلك بأصواتهم في شريط "أقوال العلماء في مؤلفات سيد قطب"، وانظر كتابًا نافعًا للشيخ عصام السناني بعنوان: "براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة"، وهو خاص في الرد على سيد قطب، وقد قرأه الشيخ محمد بن صالح العثيمين ووقع على كلامه، وقرأه وعلق عليه الشيخ صالح الفوزان، فلا أظن أحدًا يُعذر في دفاعه عن سيد قطب بعد بيان العلماء لضلالاته إلا من لم يكن عالمًا بكلامهم.

وإليك شيئًا من كلامه السيئ لتكن موقنًا فساده وحسن صنيع الرادين عليه:

(١) ص (١٠٦).

١ - قال في موسى عليه السلام: لناخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج. اهـ^(١).

٢ - قال في معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص: وحين يركن معاوية وزميله عمرو إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. اهـ^(٢).

٣ - قال في تكفير المجتمعات الإسلامية: لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله.

ثم قال: إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحّد الله، وتُخلص له الولاء.. البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات "لا إله إلا الله" بلا مدلول ولا واقع.. وهؤلاء أثقل إثماً وأشدّ عذاباً يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى ومن بعد أن كانوا في دين الله! اهـ^(٣).

٤ - قال في عدم إنكار الكفر والمعاصي كشرب الخمر: وإن الإنسان ليرثي أحياناً ويعجب لأناس طيبين، ينفقون جهدهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفروع، بينما الأصل الذي تقوم عليه حياة المجتمع المسلم ويقوم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقطوع!

ثم قال: وما غناء أن تنهى الناس عن سب الدين في مجتمع لا يعترف بسلطان الله، ولا يُعبد فيه الله، إنما يتخذ أرباباً من دونه، ينزلون له شريعته وقانونه ونظامه وأوضاعه، وقيمه وموازينه،

(١) التصوير الفني في القرآن (ص ١٥٢).

(٢) كتب وشخصيات (ص ٢٤٢).

(٣) في ظلال القرآن (٢/١٠٥٧).

والسباب والمسبوب كلاهما ليس في دين الله.

ثمَّ قال: إن الأمر أكبر وأوسع وأعمق ممَّا ينفق فيه هؤلاء الطيبون جهدهم وطاقاتهم واهتمامهم.. إنه في هذه المرحلة ليس أمر تتبع الفرعيات مهما تكن ضخمة، ولو كانت هي حدود الله، فحدود الله تقوم ابتداءً على الاعتراف بحاكمية الله دون سواه، فإذا لم يصبح حقيقة واقعة تتمثل في اعتبار شريعة الله هي المصدر الوحيد للتشريع، واعتبار ربوبية الله وقوامته هي المصدر الوحيد للسلطة.. فكل جهد في الفروع ضائع، وكل محاولة في الفروع عبث، والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات. اهـ^(١).

الانتقاد التاسع: أن كثيرًا ممن تبناوا هذا المنهج انتكسوا.

وهذه دعوى تحتاج إلى إثبات، وكون خمسة أو عشرة (انتكسوا) - على حد تعبيرك - ليس دليلًا كافيًا على أن السبب وجود هذا المنهج وإلا فإن عشرات من الشباب الناشئين على المنهج الثوري قد انتكسوا، لاسيما بعد أن أوقف العلماء رءوسهم الثوريين؛ لأنهم كانوا ناشئين على الحماسة، وقد توقفت الحماسة، ثمَّ لو قدر أنه بسبب هذه الدعوة انتكس كثير، فليس هذا دليلًا على سوء هذه الدعوة، بل السبب أنهم كانوا متبنين دعوة غير صحيحة، فلما جاءت هذه الدعوة المباركة وبينت فساد الدعوة التي كانوا عليها اتضح لهم الأمر وانتكسوا ردة فعل لما كانوا عليه من قبل.

قال المنصوح: إن سيد قطب تراجع، فلماذا تعيب عليه وقد تراجع؟

قال الناصح: أحسنت - جزاك الله خيرًا - أين تراجع؟

قال المنصوح: هكذا سمعت.

قال الناصح: هذا ما يردده كثيرون، وكلما طالبتهم بإثباته ما استطاعوا، بل ودونهم خرط

القتاد؛ لأن ما نقلته عن سيد قطب إنما أثبتته من الطبعة المعتمدة دون غيرها.

(١) في ظلال القرآن (٢/٩٥٠، ٩٥١).

الانتقاد العاشر: قولك: إنهم يحذرون من حلقات تحفيظ القرآن، فهذا بُهتان وكذب له قرنان، فكيف يحذرون ممّا يقوم به سلف هذه الأمة؟! أم كيف يحذرون ممّا فيه حفظ كلام الله؟! وإنّما تحذيرهم من بعض الحلقات التي يقوم عليه ذوو المناهج الفاسدة لا لذات الحلقات؛ لذا ترى كثيراً من السلفيين مشرفين على حلقات أو يدرسون أبناءهم فيها، فلا بد من التفصيل وترك الإجماليات. قال المنصوح: لماذا لا تعاملون سيد قطب معاملة بقية العلماء الذين وقعوا في أخطاء عقديّة كالنووي والحافظ ابن حجر.

قال الناصح: الفرق بينهما من أوجه:

١- أن النووي والحافظ ابن حجر علماء مُجتهدون ما بين أجر أو أجرين، وسيد قطب ليس عالمًا وليس من أهل الاجتهاد فلا سواء.

٢- أن كتب النووي والحافظ ابن حجر لا يطالعها في الغالب إلا العلماء وطلاب العلم بخلاف كتب سيد قطب، فإنه لا يطالعها إلا العوام من الشباب ونحوهم، بل إن كثيراً من علمائنا لم يعرف كتبه.

٣- أن لدى سيد قطب أخطاء لم يقل بها حتى الأشاعرة من سبّ الأنبياء والصحابة، وانظر كتاب: "مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ" للشيخ المُجاهد ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله -.

٤- أن في كتب النووي والحافظ ابن حجر علمًا لا يستغني عنه أهل العلم، بخلاف كتب سيد قطب، فليس فيها - في الغالب - ما يحتاج إليه أهل العلم.

٥- أن في كتب سيد قطب ما يربّي الشباب على التكفير فقد كَفَّر المُجتمعات الإسلامية في كتاب "الظلال" في أكثر من ثلاثة عشر موضعًا، وفيها أيضًا ما يربّي الشباب على فكر الثورة والتمرد على حكامه وعلمائه.

٦- أن العلماء وطلبة العلم انتقدوا ما في كتب النووي وابن حجر من الأخطاء العقديّة، كتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وعبد الله الدويش على فتح الباري، فقبلت من لدن الشباب من غير نكير، بخلاف النقد على كتب سيد فيّهم لم يقبلوها بل واجهوه بردة فعل عنيفة، ممّا يؤكد صدق ما ذكره علي عشاوي في كتابه: "التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين" من أن سيد قطب رئيس لتنظيم سري تابع لجماعة الإخوان المسلمين، وقد كان مندوبهم ورئيس الإخوان في السعودية مناع القطان، وكان يرسل إلى سيد قطب التقارير، وإلا لماذا هذه الغيرة الشديدة تجاه سيد قطب دون غيره؟ ولماذا لا ترى هذه الغيرة تجاه المنتقدين لكتب النووي والحافظ ابن حجر؟

قال المنصوح: أليس الشيخ بكر أبو زيد قد رد على الشيخ ربيع المدخلي في رده على سيد قطب؟

قال الناصح: بلى، لكن هذا لا يعني بحال أن الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب -رحمه الله- مُبرراً منها، وذلك من أوجه:

١- أن الشيخ بكر أبو زيد لم يذكر في أوراقه أن سيد قطب سلفي المعتقد والمنهج، وإنما غاية ما في أوراقه أنه لا يوافق الشيخ ربيع المدخلي على أسلوبه وبعض ما انتقده عليه، لا أنه مُبرر له بالكلية.

٢- أنه لو قدر أن الشيخ بكرًا مبررًا سيد قطب من الأخطاء، فإن علماء آخرين أعلم منه وأكثر مُخالفون له، ويكفي من بينهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومُحدث العصر الألباني -رحمهما الله-.

٣- أنه لو قدر أن الشيخ بكرًا مبررًا سيد قطب من الأخطاء العقديّة الشنيعة، فإن أول من يرد عليه كتب سيد قطب؛ إذ سبه للصحابة مع شنائع أخرى كثيرة مزبورة مسطورة لا يمكن أحدًا إنكارها.

واقراً للمزيد كتاب الشيخ سعد الحصين "سيد قطب -رحمه الله- بين رأيين".

قال المنصوح: أليس كل أحد يخطئ، فلماذا التشنيع على سيد قطب دون غيره؟

قال الناصح: نعم، كل يخطئ، لكن فرق بين الأخطاء التي لا يسوغ الخلاف فيها كأكثر المسائل العقدية، وبين ما يسوغ الخلاف فيه كأكثر المسائل الفقهية، ثم أيضاً المخطئون فيما لا يسوغ الخلاف فيه على مراتب، منهم من يكون خطؤه جزئياً، ومنهم من يكون كلياً، وإلا معنى هذا هدم تراث سلفنا الذين شنعوا على أهل الأخطاء التي لا يسوغ الخلاف فيها وبدعوهم، فما بالك بسيد قطب الذي وقع في أخطاء كلية مما لا يسوغ الخلاف فيه، من عدم الإنكار على ساب الدين والدعوة إلى فكر الثورة، ناهيك عن سبه للصحابة؟!

قال المنصوح: نورك الله كما نورتنى، لكن ألا ترى أن كلامك في هذه الجماعات، وفي هؤلاء الأشخاص يفرق الصف ويضعف قوة المسلمين؟

قال الناصح: الجواب من أوجه:

١- أن ضعف المسلمين وتغلب الأعداء سببه ذنوب المسلمين أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال ابن جرير: "﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾. يعني: قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد: ﴿أَنَّى هَذَا﴾. من أي وجه هذا؟ ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفينا نبي الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء، وعدونا أهل كفر بالله وشرك؟ قل يا مُحَمَّدَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي؛ لا من عند غيركم، ولا من قبل أحد سواكم" اهـ^(١).

ونقله عن جماعة من السلف كعكرمة والحسن وابن جريج والسدي.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٤/١٠٨).

وقال أبو الدرداء: إننا تقاتلون بأعمالكم^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: ﴿قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا﴾. أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهُزمننا؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ حين تنازعتهم وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تُحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية "اهـ"^(٢).

وقال ابن تيمية: "وحيث ظهر الكفار، فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم،

ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] "اهـ"^(٣).

وقال: "وأما الغلبة: فإن الله تعالى قد يدل الكافرين على المؤمنين تارة، كما يدل المؤمنين على

الكافرين، كما كان يكون لأصحاب النبي ﷺ مع عدوهم، لكن العاقبة للمتقين، فإن الله يقول: ﴿إِنَّا

لَنَنْصُرَنَّ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وإذا كان في المسلمين

ضعفًا^(٤)، وكان عدوهم مستظهِرًا عليهم؛ كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم؛ إما لتفريطهم في أداء

الواجبات باطنًا وظاهرًا، وإما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]. وقال

تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. وقال تعالى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا

(١) علقه البخاري، كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال.

(٢) التفسير (ص ١٥٦).

(٣) الجواب الصحيح (٦/٤٥٠).

(٤) هكذا في نسخة الفتاوى المطبوعة.

الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠-٤١] اهـ^(١) .

وقال ابن القيم: "فلو رجع العبد إلى السبب والموجب لكان اشتغاله بدفعه أجدى عليه وأنفع له من خصومة من جرى على يديه، فإنه - وإن كان ظالماً - فهو الذي سلطه على نفسه بظلمه .

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ . فأخبر أن أذى عدوهم لهم، وغلبتهم لهم: إنما هو بسبب ظلمهم . وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] اهـ^(٢) .

وقال: "وكذلك النصر والتأييد الكامل، إنما هو لأهل الإتيان الكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] . وقال: ﴿فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] .

فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه، وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﴿وَلَنُجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] . ويُجيب عنه كثير منهم بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الآخرة، ويجب آخرون بأنه لن يجعل لهم عليهم سبيلاً في الحجة .

والتحقيق: أنها مثل هذه الآيات، وأن انتفاء السبيل عن أهل الإتيان الكامل، فإذا ضعف الإتيان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى .

فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي، مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦٤٥)، وانظر (٨/٢٣٩)، (١٤/٤٢٤) .

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٤٠) .

بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرًا وباطنًا، وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]. فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفردا عنهم ويقتطعها عنهم، كما يترو الكافرين والمنافقين أعمالهم؛ إذ كانت لغيره، ولم تكن موافقة لأمره "اه".^(١)

إذا تقرر أن سبب ضعف المسلمين ذنوبهم، وأن هذا هو الداء، فعلاجه ودواؤه أن يؤمروا بالرجوع إلى الله، وترك ما هم عليه من المخالفات الشرعية، وإن الرد على المخالف بيان أخطائه حتى يتوب إلى الله ولا يتبعه غيره، صورة من صور دواء هذا الداء، وسبيل من سبل عز هذه الأمة وتمكينها.

٢- أن في هذا رافة بهؤلاء المتلبسين بهذه البدعة، والتي قد تصل إلى الشرك؛ لأنهم لو تركوا ولم يرد عليهم، ماتوا على هذه العقائد والمناهج الباطلة، وقد أجمع أهل السنة أن المعاصي الشبهاتية أعظم جرماً من الشهوانية^(٢)، ولسلفنا الصالح كلمات قوية في ذم أهل البدع.

قال الإمام البرهاري: "وإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً صاحب معاصٍ ضالاً وهو على السنة؛ فاصحبه، واجلس معه، فإنه ليس يضرك معصيته، وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشفاً، مُحترقاً بالعبادة، صاحب هوى؛ فلا تُجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق، فإنني لا آمن أن تستحلي طريقته؛ فتهلك معه".

ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال: "يا بُني، من أين جئت؟ قال: من عند فلان. قال يا بُني، لأن أراك خرجت من بيت خنثى، أحب إليّ من أن أراك تخرج من

(١) إغاثة اللفهان (٢/ ١٨٢).

(٢) حكاة ابن تيمية في الفتاوى (٢٠/ ١٠٣).

بيت فلان وفلان؛ ولأن تلقى الله يا بُنَيَّ زانياً فاسقاً سارقاً خائناً، أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان". ألا ترى أن يونس بن عبيد قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضلّه حتّى يكفر؟! اهـ^(١).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى" اهـ^(٢).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: "وقبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله" اهـ^(٣).

وقال أرطاة بن المنذر: "لأن يكون ابني فاسقاً من الفساق أحب إلي من أن يكون صاحب هوى" اهـ^(٤).

وقال سعيد بن جبير: "لأن يصحب ابني فاسقاً شاطراً سنياً أحب إلي من أن يصحب عبداً مبتدعاً" اهـ^(٥).

وما أحسن ما ذكره ابن تيمية إذ قال: "وقد أمر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الأمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا" اهـ^(٦).

فالراد على أهل البدع أرأف بهم من تاركهم على بدعهم من جهتين:

الأولى: أنه يتداركهم حتّى لا يموتوا على هذه الذنوب الموبقة: البدع.

(١) شرح السنة (ص ١١٤-١١٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص ١٥٨).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٤).

(٤) الشرح والإبانة عن أصول الديانة رقم (٨٧).

(٥) المرجع السابق رقم (٨٩).

(٦) مجموع الفتاوى (١٨/ ٥٢-٥٣).

الثانية: أنه بتحذيره من المبتدعة يقلُّ اتباعهم فتقل آثامهم، فإن من دلَّ على ضلالة كان له من الوزر مثل أوزار من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء.

قال أبو صالح الفراء: "حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئاً من أمر الفتن، فقال: ذاك أستاذه - يعني: الحسن بن حي - فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم؛ كان أضر عليهم" اهـ^(١).

بل وفي رد أهل السنة على هؤلاء المبتدعة رأفة بعامة المسلمين؛ حتى لا يضلوا ويتبعوهم على الباطل.

٣- أن المسلمين إذا اجتمعوا ضد عدوهم الخارجي مع اختلافهم في العقائد والمناهج وانتصروا؛ فإنه سيرجع بعضهم على بعض بالقتل والتشريد تسابقاً على السلطة والولاية، وما خبر أفغانستان الأولى ضد الروس عنا ببعيد.

٤- أن الصحابة الكرام -الذين هم خير من يُقتدى بهم- قد انشغلوا بالرد على أهل البدع، بل وقتلهم عن العدو الخارجي، كما هو حال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج.

وقد قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

هذه أربعة أوجه مُختصرة في تفنيد تلكم الشُّبه المتناقلة عند بعض من التبست عليه.

قال المنصوح: كلام وجيه، لكن يسلم منك اليهود والنصارى، ولا يسلم منك إخوانك

المسلمون؟

قال الناصح: قد قدمت لك أن هذا فيه نفع لهؤلاء المردود عليهم، وأن فيه عزاً للإسلام

والمسلمين الذي مؤداه الغلبة على الكافرين من يهود ونصارى وغيرهما.

(١) السير (٧/٣٦٤).

وأيضاً من قال لك: إن اليهود والنصارى سلموا منا، ثمَّ أيضاً لازم اضطراد هذه الكلمة إلغاء ما أجمع عليه السلف من الرد على أهل البدع والضلالة، وما كان هذا لازمهم فهو مردود، فإن منهج السلف لا يكون إلا حقاً.

قال ابن تيمية: لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً. اهـ^(١).

وبالمناسبة: قد اخترع بعضهم دليلاً مبتدعاً من حيث يدري أو لا يدري، وهو أن ما يغيظ الكفار يجب فعله، سواء انتفع المسلمون به أو تضرروا، وما يُفرح الكفار لا يجوز فعله سواء انتفع المسلمون به أو تضرروا.

والقول بهذا على الإطلاق فيه نظر، بل ما ينفع المسلمين يُفعل سواء تضرر الكفار أو لم يتضرروا، فإن رسول الله ﷺ عقد صلح الحديبية لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولم يمنع منه فرح الكفار به وبنوده.

قال المنصوح: لكن لماذا لا تكتفي بذكر الأخطاء بدون الأسماء؛ لاسيما وقد كان رسول الله ﷺ يقول: " ما بال أقوام، ما بال أقوام "؟

قال الناصح: هل تخالف في شرعية ذكر الأسماء في الرد والتحذير؟

قال المنصوح: كلا - بارك الله فيك -، فقد ذكرت - فيما سبق - أن رسول الله ﷺ سمى في الخطبة لفاطمة بنت قيس، وذكر بعض معائب أبي جهم ومعاوية، فإذا جاز هذا في المصالح الخاصة، فكيف بالمصالح العامة لأمة محمد ﷺ؟!

قال الناصح: أحسنت - بارك الله فيك -، وعلى هذا جرى سلفنا الصالح والعلماء السائرون على طريقتهم الذين نحن تبع لهم، فاقراً كتاب السنة للخلال، والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد،

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٤٩).

وشرح السنة للبرهاري، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، بل قد أفرد بعضهم كتاباً مستقلاً في الرد على أشخاص كالدارمي في رده على بشر المريسي، وابن تيمية في رده على الأحنائي والبكري، وأكثر كتب أئمة الدعوة النجدية السلفية ردود على المخالفين.

أما حديث: "ما بال أقوام". فهو محمول على حالات لا فائدة من ذكر أسماء الرجال فيها، فالمراد التحذير من الفعل والطريقة لا الفاعلين لها.

قال المنصوح: إن تسمية اسم المردود عليه - في ظني - ينفر السامع ولا يجعله ينتفع؛ لذا لو اقتضت على نقد الفعل دون الفاعل.

قال الناصح: ما تذكره صحيح كثيراً لا دائماً، وهذا خاضع لقاعدة المصالح والمفاسد. والذي نرى: أن بعضهم يسلك منهج ترك التسمية إلا في المجالس الخاصة به مع أصحابه الموافقين له، وهذا خطأ ويفوت مصالح كثيرة، وأكبر دليل واقعي على هذا أن علماءنا كانوا يربوننا على السمع والطاعة لولاة الأمر وترك التحزب المذموم، والاهتمام بالتوحيد والسنة ونبذ البدع، ومع ذلك استطاع الحزبيون اختراق صفوف الشباب والتغريب بهم، إلى أن سيرّوهم على منهجهم البدعي إلا من رحم الله.

وسبب ذلك أن الحزبيين استغلوا ذم المشرك في الشرك الذي يريدونه وهو شرك القصور مع المبالغة فيه دون شرك القبور، واستغلوا ذم البدع في ذم الرفض والتشيع ومن سلف كالجهم بن صفوان، والجعد بن درهم فحسب، وعلى إثر هذا عمّوا شباب التوحيد عن باقي البدع، وعليها ولّدوا لهم قواعد فاسدة جعلوها سياجاً في حماية ما ربوا الشباب عليه من باطل كقاعدة: ذكر الحسنات في الرد، وأن طالب العلم والعالم لا بد أن يكون عارفاً بواقعه، فأشغلوهم بفقّه الواقع - فقّه السياسة، والجرائد والصحف - وتلاعبوا بعواطفهم ليستمروا معهم ويتركوا علماءهم باسم هموم المسلمين، وأشغلوهم بعرض مُصاب الأمة عن تشخيص المرض التشخيص الصحيح مع

علاجه العلاج الشرعي وهكذا...

فلما جاءت حرب الخليج - لا أعادها الله - كَشَّرَ الحزبيون عن أنبيائهم، وأظهروا ما في مكنونهم تعجلاً منهم لحصاد ثمارهم الكاسدة، لكن الله ناصر دينه، فكاد بأولئك الكائدين، فصار عاقبة أمرهم خُسراً، فشهر العلماء بأسمائهم، وأخرجوا فيهم فتاوى متعددة، بعدها بدأ طائفة من طلاب العلم والشباب السائرين على طريقة علمائهم يردون على فعال ومناهج الحزبيين الضالة، ويُشهرّون أسماءهم عند رجاء مصلحة شرعية، وتفظنوا لمكر الحزبيين، فتخلوا عنهم، وانقلبوا على الحزبيين وبدعهم ذمّاً وردّاً وتحذيراً، وهكذا هم - والله الحمد - في تزايد ملحوظ لاسيما في هذه الأيام.

وهذا كله من فضل الله وحفظه لدينه الحق، ثمّ بأسباب شرعية منها: تسمية المخالفين المغالطين، وذلك أن من لم يسم إذا دعا الشباب إلى الالتفاف حول علمائهم ظن المغرر بهم أن علماء هؤلاء الحزبيون الضالون، وإذا دعاهم إلى عدم الغلظة على المخالف في المسائل الاجتهادية ظن أن أخطاء هؤلاء الحزبيين من هذا الجنس، فيُنكر الغلظة عليهم وهكذا...

فكل هذا لا يُعرف إلا بالتصريح المصحوب بعلم وحلم، فإنه حق ناصره الله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الأنبياء: ٨١]. والواقع خير برهان.

قال المنصوح: عرفت الآن السر في تربيتهم لنا على عدم قراءة كتب الردود.

قال الناصح: بل العجيب أنّهم متناقضون؛ لأنّهم متزعمون الردود على ولادة الأمور في مجالسهم الخاصة والعامة، ويتناقضون الردود عليهم مع مخالفة هذا الفعل للشريعة الغراء، لذا كلما خرجت فتنة ضد ولادة الأمر رأيت شبابهم خائضين فيها كفتنة المسعري، وسعد الفقيه، وأيضاً من تناقضهم أن لهم ردوداً على العلمانيين يوصون الشباب بقراءتها، وهذا حق يُحمدون عليه، لكنه مناقض لما أصلوه من ترك قراءة كتب الردود.

قال المنصوح: لماذا لا يذكر السلفيون حسنات الرجل في مقام الرد عليه، أليس ذكر سيئاته دون حسناته من الظلم؟

قال الناصح: قرر علماءنا بالأدلة من الكتاب والسنة أنه في مقام الرد على رجل لإسقاطه لا تُذكر حسنات المردود عليه، وعلى هذا جرى سلفنا الصالح، وبهذا قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله- وكتب الشيخ المُجاهد ربيع بن هادي المدخلي في ذلك كتابين: "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف"، وكتاب: "المُحجة البيضاء" وانظر كتاب: "زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون" للشيخ حمد بن إبراهيم العثمان، واسمه الجديد: "دراسة نقدية لقاعدة المعذرة والتعاون".

وهذا هو عين العدل بالنظرة الكلية لا الجزئية، وذلك أنه إذا لم تُذكر حسناته في مقام الرد نَفَرَ الناس منه، وكانوا في صون من أخطائه؛ فتحصل المنفعة الكلية للأمة المُحمدية؛ بخلاف ما إذا ذُكرت حسناته، فإن الناس لا ينفرون منه، بل لعل بعضهم يعجب به لما له من حسنات، وهذا مثل الذي يُصاب بمرض في رجله فيحكم الأطباء عليها بالبت، وإلا انتقل ضررها إلى الجسد كله، فالذي ينظر إليها نظرة جزئية مفردة يظهر له أن البتر غير نافع، أما بالنظر إلى الجسم كله نظرة كلية يكون القطع نافعاً غير ضار.

قال المنصوح: أحسن الله إليك، والله قد كشفت الشبهة وأبنت المُحجة بالحجة الدامغة، فجزاك الله عني كل خير، وكم أتمنى أن يعرف هذا إخواني الآخرون المغرر بهم، فإن الحق ضالة المؤمن، ثم إن هؤلاء الإخوة متناقضون، فأين منهج ذكر الحسنات في مقام الرد؟ لم لا يفعلونه مع حكاهم؟! لكن أخي الناصح لماذا نطبق منهج عدم ذكر الحسنات في حق الضلال من الدعاة، ولا نطبقه في حق من عنده أخطاء من الحكام؟

قال الناصح: الجواب بدهي يُعرف بما سبق، وهو أن منهج أهل السنة والذي تدل عليه الأدلة

- كما تقدم - أنَّهم في حق الحكام الفساق والمبتدعة يقيمون ما أوجب الله عليهم من السمع والطاعة وجمع الناس عليهم والنصح لهم، فليس من منهجهم الرد عليهم أمام الناس في غيبتهم - كما تقدم - بخلاف المبتدعة والضلال والمخطئين من المصلحين والدعاة، فإن المنهج في حقهم كما هو منهج السلف ودلت عليه النصوص هو الرد عليهم حتى يحذر الناس خطأهم.

فيتلخص من هذا أن الفرق بين الدعاة المخطئين والحكام المخطئين من وجهين:

١- أن الحكام - وإن كانوا فساقاً - فقد أمرنا بجمع الناس عليهم، بخلاف الدعاة المخطئين فإننا أمرنا بالرد عليهم ليحذر الناس خطأهم.

٢- أن السكوت عن أخطاء الدعاة الشرعية يُصيرها ديناً عند الناس، لكونهم يتكلمون باسم الدين ويصدقهم الناس، بخلاف أخطاء الحكام، أما الرد على الحكام بذكر مساوئهم دون حسناتهم فيسبب مفسد منع منها الشرع، ومنها بغض الناس للسلطان وافتياتهم عليه.

قال المنصوح: أرى بعض السلفيين عندهم غلظة وشدة، والتكلم أحياناً في الآخرين بلا دليل.

قال الناصح: أحسنت في قولك: "بعضهم" ولم تُعمم.

والجواب من أوجه:

١- عند نقد منهج من المناهج، فلا بد أن يفرق بين أسس المنهج ورجالاته، والمعول في النقد أسسه لا رجالاته؛ لأن الرجال يتغيرون ما بين حين وآخر، بل قد يسيئون ويحسنون بتأثيرات خارجية لا لذات المنهج، وهذا تماماً مثل الذين ينقدون الإسلام بالنظر إلى حال المسلمين، وهذا خطأ، بل أسس الإسلام شيء، وقيام المسلمين به شيء آخر.

٢- أنه كما يوجد في بعض السلفيين من يُخطئ ويتكلم في الآخرين بلا دليل، فكذلك يوجد كثيرون من غيرهم إذا عُرِض عليهم الدليل القاطع البين تركوه، واتبعوا أهواءهم.

بل وعند طوائف منهم كما وقفتُ عليه بنفسي كلامٍ في المخالفين بالظن، وبالنقل غير الموثق؛
فما أكثر ما ينقلون كلامًا من غير استثبات.

٣- قد تظن أحيانًا أنه لا دليل عنده، فلو ثبتت واسترشدت منه، فكم مرة قيل: إنه لا دليل
عند فلان، وبعد التثبت وسؤاله اتضح أن عنده أدلة لا دليلًا واحدًا.

٤- أن الغلظة والشدة ليست مذمومة ولا محمودة على الإطلاق، بل خاضعة لقاعدة المصالح
والمفاسد، ومن جعلها المنهج السليم الصحيح مطلقًا فهو مُخطئ، كمن يلغيها مطلقًا فهو أيضًا
مُخطئ.

وأؤكد على التفريق بين الأفراد وأسس المناهج.

قال المنصوح: لماذا السلفيون ليس لهم دور في إنكار المعاصي الشهوانية، والرد على العلمانية
والليبراليين؟ ولماذا ليس لهم اهتمام بقضية المرأة؟

قال الناصح: هذا كلامٌ مجمل يحتاج إلى تفصيل، أتريد أنتم لا ينكرون على طريقة الهمجيين
من التجمهر على الولاية والعلماء والضغط عليهم بالكثرة، وأنتم لا يذكرون معائب السلطان على
المنابر، فنعم هم ليسوا كذلك؛ لأن هذا ليس طريقًا شرعيًا، بل هي طريقة ووسيلة البغاة والخوارج.
ونصيحة ولاية الأمر لها صفة تقدم ذكرها، أم تريد أنتم لا ينكرون ألبتة ولو بالطرق الشرعية،
فهذا كذب وبُهتان لا يستطيع مدعيه إثباته، والله الموعود.

أما الرد على العلمانيين والليبراليين فموجود، وعلى سبيل المثال للشيخ ربيع أكثر من رد عليهم
كما في مكتبة سحاب السلفية، وراجع موقع الإسلام العتيق

([HTTP://WWW.ISLAMANCIENT.COM/](http://www.islamancient.com/)) تجد فيه للسلفيين أكثر من رد على

الليبراليين.

أما قضية المرأة فللشيخ ربيع - على سبيل المثال - أكثر من رد، وله كتاب خاص بالمرأة، انظره

في موقع مكتبة سحاب.

قال المنصوح: لماذا إذن تولد عندنا هذا الشعور؟

قال الناصح: أسباب كثيرة، منها:

١- أن هذه تهمة ألصقتها الحزبيون بهم حتى ينفروا الناس منهم، وقواها أنهم لا يسلكون مسلك التشهير بعيوب ولي أمرهم تبعاً للنصوص الشرعية، وهدى سلف الأمة، فاستغل هذا الحزبيون في تأييد ما يشيعون زوراً وبُهتاناً.

٢- أن اهتمام أهل السنة والجماعة السلفيين بإنكار المعاصي الشبهاتية - البدع - أشد؛ لأنها أعظم جرماً بإجماع أهل العلم.

قال ابن تيمية: "أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع". اهـ^(١)، وهي لا تقف عند حد، بل تتزايد.

قال البرهاري: "واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً" اهـ^(٢).

ويؤكد هذا: أن نفر الذين أنكر عليهم عبد الله بن مسعود كانوا يسبحون مائة، ويكبرون مائة بالحصى أكثرهم تزايدت بهم البدع حتى طاعنوا الصحابة يوم النهروان - أي: صاروا خوارج - كما رواه الدارمي.

لذا لسلفنا الصالح كلمات مسطورة، وفي الكتب مزبورة في التحذير من أهل البدع والإنكار عليهم، ومن ذلك:

قال الإمام البرهاري: وإذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً

(١) مجموع الفتاوى (١٠٣/٢٠).

(٢) شرح السنة (ص ٦١).

صاحب معاصٍ ضالاً وهو على السنة؛ فاصحبه، واجلس معه، فإنه ليس يضرك معصيته، وإذا رأيت الرجل مُجتهداً في العبادة متقشفاً مُحترقاً بالعبادة صاحب هوى، فلا تُجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق، فإنِّي لا آمن أن تستحلي طريقته؛ فتهلك معه.

ورأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال: "يا بُني، من أين جئت؟ قال: من عند فلان. قال يا بُني، لأن أراك خرجت من بيت خنثى، أحب إليّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان؛ ولأن تلقى الله يا بُني زانياً فاسقاً سارقاً خائناً، أحب إليّ من أن تلقاه بقول فلان وفلان". ألا ترى أن يونس بن عبيد قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضلّه حتّى يكفر؟! اهـ^(١).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى" اهـ^(٢).

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: "وقبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله" اهـ^(٣).

وقال أرطاة بن المنذر: "لأن يكون ابني فاسقاً من الفساق أحب إليّ من أن يكون صاحب هوى" اهـ^(٤).

وقال سعيد بن جبير: "لأن يصحب ابني فاسقاً شاطراً سنياً أحب إليّ من أن يصحب عابداً مبتدعاً" اهـ^(٥).

(١) شرح السنة (ص ١١٤-١١٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص ١٥٨).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٤).

(٤) الشرح والإبانة عن أصول الديانة رقم (٨٧).

(٥) المرجع السابق رقم (٨٩).

وقال ابن القيم: "بل ما أكثر من يتعبد الله بما حرمه الله عليه، ويعتقد أنه طاعة وقربة، وحاله في ذلك شر من حال من يعتقد ذلك معصية وإثمًا، كأصحاب السماع الشعري الذين يتقربون به إلى الله تعالى، ويظنون أنهم من أولياء الرحمن، وهم في الحقيقة من أولياء الشيطان" اهـ^(١).

فعلى هذا صار أهل السنة والجماعة السلفيون مهتمين أكثر بإنكار المعاصي الشبهاتية مع عدم إغفال المعاصي الشهوانية، أما غيرهم فغرر بهم الشيطان، فلا ينكرون المعاصي الشبهاتية - البدع - إلا قليلاً وفي بدع محصورة، فوقعوا في فخ الشيطان وحبائله مع تقديم المفضول على الفاضل، بل والأشد والأطم أنهم يدافعون عن رءوس تلتخطوا بعدة بدع كحسن البناء وسيد قطب.

قال المنصوح: سبحان الله!! ما أروع المنهج السلفي وأشمله!!

قال الناصح: ألسنت ترى يا أخي تميع رءوس الحزبيين الآن مع الليبراليين ومن يسموهم بالعلمانيين، فهذا أحدهم يُخرج مجلة - وهي مجلة الجسور - ويصدر عددها الأول بلقاء مع أحد كبار الليبراليين، وهذا ثانٍ يُخرج في قناة فضائية فيشيد بأكثر من واحد كانوا يسموهم بالعلمانيين كما تجد ذلك موثقاً في كتاب "قيادات الصحوة التغير والتلون... حقائق وأخطار"، ومُحاضرة "وانكشف القناع" و"التناقضات" كما في موقع الإسلام العتيق.

قال المنصوح: صدقت، نسأل الله الثبات، أخي إني أسمع من يقول: بأن الجامية مرجئة.

قال الناصح: هل يا أخي تعرف معنى مرجئة؟ وهل تتكرم بذكر معتقدتهم؟

قال المنصوح: الحق أنني لا أعرف معتقدتهم.

قال الناصح: هكذا يُلبسون كعادتهم بما لا يفهمه أكثر السامعين، وإلا فالمرجئة هم الذين لا

يُدخلون أعمال الجوارح في الإيمان، ولا يُكفرون بالأعمال.

وعلمناؤنا الأجلاء كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، ومحمد أمان، وربيع بن هادي، وغيرهم

(١) إغاثة اللفهان (٢/١٨١).

مُجمعون على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الكفر يكون بالعمل كالسجود للصنم، والقول كَسَبَّ الدين، والاعتقاد: كاعتقاد أن الله ثالث ثلاثة، وانظر للفائدة كتاب: "الإمام الألباني وموقفه من الإرجاء".

قال المنصوح: أرى كثيرًا من السلفيين يتناقلون أشرطة قد جمعوا فيها كلمات العلماء المتفرقة كفتاوى العلماء في الجهاد، والأناشيد، والتمثيل، والجماعات، وفي ظني أنه لا يصح الاعتماد عليها لأنها كلمات مقطعة.

قال الناصح: إن إجلال السلفيين لعلمائهم الكبار كالإمام ابن باز وابن عثيمين والألباني والفوزان وآل الشيخ دعاهم إلى تقريب كلامهم المتفرق لعامة الناس؛ لإقناع العامة بمن أمر الله بالرجوع إليهم في قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. وهذا تمامًا كمن يؤلف كتابًا وينقل كلمات أهل العلم المتفرقة، ويكتفي بأخذ الشاهد منها، فإنه لا أحد يعيب عليه، بل يحمده، وهذه هي طريقة أهل العلم في التصنيف، وهو ما يفعله الحزبيون إذا ألفوا، فما لهم يقنعون بهذا في المكتوب ولا يقنعون به في المسموع مع أن المسموع قد يكون أوثق من وجه وذلك أنه صوته.

قال المنصوح: لكن يقال: إنهم في تقطيعهم لكلام العلماء يحرفونه ويغيرونه؟

قال الناصح: على من ادعى هذا الإثبات، فدوّنهم الأشرطة التي جمعها السلفيون، أين إثباتهم لتحريف كلام العلماء لو كانوا يستطيعون؟ قد سمعت كثيرين يرددون هذه الدعوى المفتراة، فلما طالبتهم بالإثبات ما استطاعوا، بل إن بعضهم طلب مهلة أسبوع، فلما ذهب شهران أو أكثر؛ أقر بأنه لم يجد الإثبات على دعواه، فعلم أن غيره غرر به كما غرروا بكثيرين.

فعلى هذا؛ هذه الأشرطة الجامعة لما تفرق من كلام العلماء المسموع المتفرق لها حالتان:

أ- جمع يلزم منه تغيير معنى كلام العالم، وهذا ما لا يجوز فعله، وهو ما نُسب إلى السلفيين ولم يستطع أحد إثباته.

ب- وجمع لا يغير المعنى، بل فيه جمع للشاهد من كلام العلماء، وهذا جائز كالمؤلفات المكتوبة

تمامًا

قال المنصوح: لماذا تسمون أنفسكم بالسلفية، ولا تكتفون باسم المسلمين؟ وبعد قناعتي بضلال رءوس الحزبيين وقاداتهم، هل أستطيع أن أبدوهم؟

قال الناصح: قد بين رسول الله ﷺ أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وكل هذه الثنتين والسبعين فرقة الضالة منتسبون للإسلام، فلو انتسب أهل الحق لاسم الإسلام؛ لما تميز أهل الحق من غيرهم، وهذا غير محمود في الشريعة من أوجه:

١- أن الله سبحانه يحب التمايز بين الحق والباطل، كما قال سبحانه: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢- أن مرید الحق لا يهتدي إليه لأنه اختلط عليه بالباطل، وما لا يتم الواجب إلا به فهو

واجب.

٣- أنه إذا لم يحصل التمايز بين الحق والباطل لم يتمكن من دعوة الناس إلى الالتحاق بأهل الحق

دون غيرهم، ولا الثناء على أهل الحق، ولا يتمكن من التحذير من أهل الباطل.

٤- أن سلفنا الصالح ميزوا أنفسهم عن باقي الطوائف البدعية باسم الجماعة وأهل الأثر

وهكذا...

والخير كل الخير في اتباع من سلف

والشر كل الشر في ابتداء من خلف

٥- أن كثيرًا ممن يعارض على هذه التسمية بحجة عدم تفريق الصف غير صادقين في دعواهم،

وذلك أنهم لا يمانعون من تسمية غيرهم بالأشاعرة، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية، والجمامية، وإنما

حقيقة حال دعواهم هذه أنهم لا يريدون أن يتسمى السلفيون بهذا الاسم حتى لا يظهر عوارهم للناس فيحذروهم.

هذه هي حقيقة الدعوة المسماة - تلييسًا وتنفيرًا - بالجامية، فأسألك بالله: أليست طريقتهم طريقة علمائنا الكبار كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، التي هي امتداد لطريقة سلفنا الصالح؟ فهي إذن دعوة سلفية على طريقة سلف الأمة، وإنما سماها أعداؤها جامية؛ ليلبسوا حقيقة أمرها على من لا يدري واقعتها؛ تمامًا كما سمى أعداء الدعوة الإصلاحية النجدية بالوهابية؛ ليلبسوا على الناس حقيقة أمرها، وصدق الله: ﴿تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]. وقوله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

أما قادة رءوس الصحوة، فمن كان منهم موالياً لمن يسبُّ الصحابة ويتقصهم ويدعو للتقريب معه ومع كل أهل البدع، فإنه يبدع ولا كرامة ولو كان دافعهم سياسياً، فسلفنا يبدعون من جالس أهل البدع وجعلهم بطانة، فكيف بمن يواليهم ويدافع عنهم، بل ويطعن في السلفين وعلماء السنة؟! ومن كان من قادات الصحوة تاركاً الدعوة إلى التوحيد والسنة ونبد الشرك والبدعة ومشغلاً العامة بما لا ينفعهم كالقضايا السياسية فإنه يبدع ولا كرامة.

وما أحسن الشريط الذي خرجهُ الشيخ عبد المحسن العباد في بيان من المراد بقوله في كتابه "رفقاً أهل السنة بأهل السنة"، وأنه لا يعني من أهل السنة من ذكرهم في مقدمته على كتاب "مدارك النظر" لأنهم ليسوا بأهل السنة عنده، فهل يعقل هذا من يتناقل الكتاب من الحزبيين؟!

قال المنصوح: لقد سألتني بعظيم، بلى والله، فإنني لا أرى هذه الدعوة الإصلاحية المسماة بالجامية إلا امتداداً لدعوة علمائنا الكبار التي هي امتداد لدعوة سلفنا الصالح المبنية على الكتاب، وما صح من السنة النبوية.

قال الناصح: أخي المنصوح، أحمد الله على الهداية، واعلم أنه لا بد وأن تواجه من يُحاول

التلبس عليك فتحصن بالعلم الشرعي، واعرف المنهج الحق حتّى لا يلتبس عليك بالمناهج الأخرى الباطلة، وأنصحك بقراءة أربعة كتب مفيدة: كتاب "مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية" للشيخ عبد المالك الرمضاني، وكتاب: "القطبية هي الفتنة فاعرفوها" للشيخ العدناني، وكتاب: "معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة" للشيخ عبد السلام بن برجس -رحمه الله-، وقد استفدت منه في أوائل المناظرة بيني وبينك، وكتاب "الإرهاب" للشيخ زيد المدخلي، قدم له الشيخ صالح الفوزان.

قال المنصوح: أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد، وأن يثبتنا على ما يرضيه، وأن يغفر لنا ما سلف وكان، فإنه التواب الفرح بتوبة عباده.

قال الناصح: آمين، وأذكر في الختام بمحاسن ومزايا بلادنا - حفظها الله - فلو تفكرت في هذه البلاد التي يسوسها هؤلاء الحكام لرأيت أنّها البلاد الوحيدة التي تدعو إلى التوحيد الخالص، وتحارب الشرك الأكبر، وجامعاتها بل وجميع مدارسها في كل المراحل مؤسسة على غرس العقيدة الصحيحة من توحيد الإلهية، والربوبية، والأسماء والصفات، فأشدّ ذنب يبغضه الله: الشرك، هم أعداؤه ويحاربونه ويُنشئون صغارهم على بغضه وحربه، فلو لم يكن من محاسنهم إلا هذا الكفى.

ومن كلمات الشيخ العلامة ابن باز: فالعداء لهذه الدولة عداء للحق، عداء للتوحيد^(١) كيف وعندنا في هذا البلد المبارك منع التبرج والسفور، ورجال موظفون للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويمنع منعاً باتاً فتح المحلات التجارية بعد الأذان للصلوات، ويوجد دعاة كثيرون موظفون لدعوة الناس إلى الخير، وفيها معلمون موظفون مُحتصون في المدارس لتعليم الناشئة أمور دينهم، وأشياء كثيرة كثيرة، نسأل الله المزيد من فضله، ولا أعني بهذا: أنه لا يوجد نقص، فإن الكمال عزيز لا سيما في آخر الزمان الذي يكثر فيه الشر والفساد، وإذا أردت معرفة حقيقة ما تعيش: انظر

(١) شريط "أهداف الحملات الإعلامية على حكام وبلاد الحرمين".

لمن حولك تجدد الفساد الشهواني على قدم وساق، وكثير من صالحهم ليسوا على طريقة السلف في المعتقد والتوحيد.

وأخيراً أذكر أيها القارئ الكريم نفسي وإياكم بأمور:

١- أن الحب والبغض النافع يوم القيامة ما كان لله، ومقتضى هذا أن من كان على طريق غير سوي، فإنه يُبغض في الله، هذا هو الصادق في حبه وبغضه لله لا المغرر نفسه بها.

لا سيما أن قادات الحزبيين قد تغيروا وتلونوا، وكل يوم لهم دين؛ لذا تغيرت مواقف العقلاء منهم لما رأوا تلاعبهم، وراجع - فضلاً لا أمراً - كتاب "قيادات الصحوة، التغير والتلون... حقائق وأخطار" في موقع الإسلام العتيق.

٢- أن دين الله أحب إلينا من كل أحد، فمصلحة رضا الله وعز دينه مقدمة على كل مصلحة نفسية أو شرعية موهومة.

٣- أنه إذا كان عندك إمكان إعدار هؤلاء الحزبيين وعدم عداوتهم لأجل أمور تتوهمها، فليكن السلفيون من باب أولى، فإنه من التناقض البين أن تُعادي السلفيين لأخطائهم - المزعومة عندك - ولا تعادي الحزبيين لأخطائهم المثبتة.

٤- أن المقبلين على الدعوة السلفية في هذه الأيام كثيرون، فلا يهولنك إرجاف الحزبيين وكثرتهم، فإن الحق لا يعرف كثرة ولا قلة، قال ﷺ: "يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، والنبي ومعه الرجل والرجلان". وقال ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء". أفلا تحب أن تكون منهم؟

قال الإمام ابن القيم في النونية:

فاصدع بما قال الرسول ولا تخف... من قلة الأنصار والأعوان

٥- فلنتذكر دوماً وأبداً قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا

كَسَبَتْ وَهُمْ لِأَيُّظْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٨١﴾. وما أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء".

ولتتذكر الموت وما بعده من خلوة قبر، وبعث ونشور، وعبور للصراف مزلة الأقدام، والحساب يوم المعاد، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أسأل الله أن يجزي ولاتنا وعلماؤنا عنا خيرا كثيرا، وأن يكون لهم مؤيدا ونصيرا، وأن يأخذ بنواصينا وإياهم للبر والتقوى، ويكفيننا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وبهذا تم المقصود

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم آخر تعديل ١٥ / ٤ / ١٤٢٤ هـ